منهج اهل البيت " عليهم السلام" في مجالات حقوق الانسان خلال الحروب والأزمات وصايا السيد السيستاني للمقاتلين نموذجا

شيماء صادق جعفر
كلية العلوم الإسلامية / جامعة بابل
shaimmsj@gmail.com

الملخص:

منهج اهل البيت " عليهم السلام" في مجالات حقوق الانسان خلال الحروب والأزمات وصايا السيد السيستاني للمقاتلين نموذجا ، لخصت الباحثة مشكلة البحث بالتساؤل الرئيس (ما دور المرجعية الدينية في تطبيق منهج اهل البيت "عليهم السلام" في مجالات حقوق الانسان خلال الحروب والأزمات)؟

المنهج العلمي المستخدم: المنهج التاريخي.

توزع البحث على(٤) مباحث رئيسة ومطالب فرعية، تناول المبحث الأول وصايا النبي محمد (صلى عليه الله عليه وآلهِ وسلم) في الفتوحات الإسلامية: ، واخلاقيات الحروب عند امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب "عليه السلام"، فيما تناول المبحث الثاني مؤسسة المرجعية الدينية – النشأة والقيادة ، وموجز عن مراحل نشؤوها وبيان الأدوار التي مرت بها وصولاً للوقت الحالي، ومنها نبذة مختصرة عن حياة المرجع الديني الأعلى السيد علي السيستاني ودوره في العراق الجديد بعد عام ٢٠٠٣ م ، ومواقفه الوطنية وصون وحدة العراق وشعبه المتنوع ، ودعم وترشيد العملية السياسية في العراق بعد عام ٢٠٠٣م وبياناته ومواقفه الحازمة على صعيدي الدستور وقوانين الانتخابات، بينما تناول المبحث الثالث الدور السياسي للمرجعية الدينية في العراق بدءً من قضية التنباك في ايران عام ١٨٩١م ، ومن ثم مواقفها إزاء قضيتي المشروطة والمستبدة في ايران ١٩٠٦م، والاحتلال الروسي لأراضي شمال ايران والاعتداء على المرقد الرضوي بمشهد المقدسة١٩١١-١٩١٢م ، واعلانها الجهاد إزاء الاحتلال البريطاني للعراق وثورة العشرين واختيار نظام الحكم الملكي وتداعياته وتسفير العلماء في حكومة عبد المحسن السعدون الأول، ومواقف مرجعيات السيد الحكيم والسيد الخوئي والسيدين الشهيدين الصدرين الأول والثاني، انتهاء بمواقف مرجعية السيد السيستاني وفتواه التاريخية بالجهاد الكفائي في ١٣حزيران ٢٠١٤م بمواجهة تنظيم داعش الإرهابي، واخيراً المبحث الرابع باستعراض موجز لوصايا السيد السيستاني للمقاتلين والمتطوعين ، ومن ثم الاستنتاجات المتحصلة من البحث.

Abstract:

The approach of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) in the fields of human rights during wars and crises The commandments of Sayyid al-Sistani to fighters as a model .The research problem was summarized by the main question (What is the role of the religious authority in applying the approach of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) in the fields of human rights during wars and crises?

The scientific method used: The historical method, and the research was divided into (4) main topics and sub-topics. The first topic dealt with the commandments of the Prophet Muhammad (peace be upon him and his family) in the Islamic conquests: and the ethics of wars according to the Commander of the Faithful, Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him), while the second topic dealt with the institution of the religious authority - its origin and leadership, and a summary of the stages of its emergence and a statement of the roles it went through until the present time, including a brief overview of the life of the supreme religious authority, Sayyid Ali al-Sistani, and his role in the new Iraq after 2003 AD, and his national positions and preserving the unity of Iraq and its diverse people, and supporting and guiding the political process in Iraq after 2003 AD and his statements and positions The decisive role in the constitution and election laws, while the third section dealt with the political role of the religious authority in Iraq, starting with the tobacco issue in Iran in 1891 AD, then its positions on the constitutional and tyrannical issues in Iran in 1906 AD, the Russian occupation of northern Iranian lands and the attack on the Razavi shrine in the holy Mashhad in 1911-1912 AD, and its declaration of jihad against the British occupation of Iraq and the revolution of 1920 and the choice of the monarchy and its repercussions and the deportation of scholars in the government of Abdul Mohsen Al-Saadoun I, and the positions of the authorities of Sayyid Al-Hakim and Sayyid Al-Khoei and the two martyred Sayyids Al-Sadr I and II, ending with the positions of the authority of Sayyid Al-Sistani and his historic fatwa on the sufficient jihad on June 13, 2014 AD to confront the terrorist organization ISIS, and finally the fourth section with a brief review

of Sayyid Al-Sistani's commandments to fighters and volunteers, and then the conclusions obtained from the research .

المقدمة:

الحمد لله وسلامٌ على عبادهِ الذين أصطفى مُحَمّدٍ وآلِ الطيبين الطاهرين .

تعرضت الدولة العراقية في التاسع من نيسان ٢٠٠٣ الى التغيير التام وتشكيل النظام السياسي الجديد في هيكليتها وادارتها، وهنا ومنذ اللحظات الأولى لسقوط النظام السابق، ظهر دور المرجعية الدينية في املاء الفراغ التام في ادارة الدولة، إذ ساهمت في الحفاظ على الاستقرار المجتمعي ومنع السلب والنهب والثأر وتدمير البنى التحتية، فكانت امام مهمة كبيرة استطاعت ببعدها الروحي ان تحقق نجاحات كبيرة فيها.

وهكذا اتجهت الانظار داخلياً وخارجياً الى المرجع الديني الاعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) إذ مثلت مواقفه وبياناته وفتاواه تحدياً فكرياً وسياسياً للمشاريع التخريبية الداخلية منها والخارجية ومؤيديها الذين كانوا يخططون لشكل ومضمون للدولة يختلف عن رؤية وتطلعات الشعب العراقي وعما تبنته المرجعية الرشيدة والتي غيرتها وأجهضت مشاريع الديمقراطية الصورية المشوهة التي اريد تطبيقها في العراق، وقد تجلت في وصايا وتوجيهاته للمقاتلين اسمى قيم الإنسانية وحفظ حقوق الانسان خلال الحروب والأزمات ، وامتداً للسيرة النبوية الشريفة واخلاقيات الامام علي في حروب اهل التأويل.

المبحث الأول

وصايا النبي محمد "صلى الله عليه وآله" في حروب التنزيل للفتوحات الإسلامية، (اخلاقيات الامام علي "عليه السلام" في_حرب التنزيل

تستعرض الباحثة في هذا المبحث مطلبين أساسيين، الأول منهما (وصايا النبي محمد "صلى الله عليه وآله) في حروب التنزيل للفتوحات الإسلامية، والآخر هو (اخلاقيات الامام علي "عليه السلام" في_حرب التنزيل)، وكما يأتي:

المطلب الأول: وصايا النبي محمد (صلى عليه الله عليه وآلهِ وسلم) في الفتوحات الإسلامية: -

أولا :-الحث على اسلام المشركين قبل قتالهم : إن الأصل في الحروب الإسلامية أنها وسيلة للدعوة وليست غاية في ذاتها، ولا يلجأ إليها إلا حين يحول بينها وبين الناس حائل، لهذا تجب الدعوة إلى الإسلام قبل القتال لمن لم تبلغهم الدعوة، قال تعالى :(مَّنِ ٱهتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهتَدِي لِنَفسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزرَ أُخرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبعَثَ رَسُولا) [١].

(١) الاسراء /١٥

وقد كان النبي **(صلى عليه الله عليه وآلهِ وسلم)** اشد الناس حرصا على الحث على الدعوة واسلام المشركين قبل قتالهم، فكانت له وصايا خاصة بالأمراء والقادة حين يبعثهم في السرايا، فكان إذا بعث أميرا على جيش أوصاه:(**إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ادعهم إلى الإسلام؛ فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم** ،... الحديث)[١].

وقال النبي (**صلى عليه الله عليه وآلهِ**) لعلي بن ابي طالب **(عليه السلام)** يوم خيبر : **(انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم)** [٢]

وكان رسول الله **(صلى عليه الله عليه وآلهِ وسلم)** إذا بعث جيشا قال: **(تألفوا الناس ولا تغيروا على حي حتى تدعوهم إلى الإسلام، فو الذي نفس محمد بيده ، ما من أهل بيت من وبر ولا مدر تأتوني بهم مسلمين إلا أحب إلي من أن تأتوني بنسائهم وأبنائهم وتقتلون رجالهم)** [٣]

وقال النبي **(صلى عليه الله عليه وآلهِ وسلم): (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها)** [٤]

وقال ابن عباس : (ما قاتل رسول الله (**صلى عليه الله عليه وآلهِ وسلم)** قوما حتى يدعوهم) [٥] ، وهذا الخلق الرفيع من انشاء الاسلام الذي لم يستبح الغدر بأحد قبل اعلامه فجعل الدعوة قبل القتال لازمة ، وتلك قمة لم تسموا اليها أمة قبل الاسلام او بعده) [٦].

ثانيا: وصايا الرسول (صلى عليه الله عليه وآلهِ وسلم) في رعاية العهود العسكرية:-في سياق تعداده لخصال المؤمنين، أشار القرآن المجيد إلى صفة الوفاء بالعهد والميثاق، حيث قال تعالى:

(ٱلمُوفُونَ بِعَهدِهِم إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلبَأسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلبَأسِأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْوَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلمُتَّقُونَ) [٧]

وقد حرص رسول الله (**صلى عليه الله عليه وآلهِ وسلم)** على رعاية هذه العهود_[٨].

---

(١) ابن اثير الجرزي ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق ، علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ص١٥٠

(٢) الحارث بن ابي سلمى، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، تحقيق ، حسين أحمد صالح الباكري ،المدينة المنورة ، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية ، ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ج٢، ص١٧٨

(٣) محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، تحقيق محمد بن زهير الناصر ، دار طوق النجاة ، بيروت ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).ص٩٨

(٤) احمد بن يحيى البلاذري ، أنساب الأشراف ، تحقيق سهيل زكار و رياض الزركلي ، بيروت، ، ، دار الفكر ١٩٩٦، ص٦٦

(٥) احمد بن يحيى البلاذري ،فتوح البلدان ، بيروت دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م، ص٢٧٨

(٦) أحمد بن الحسين بن علي البهيقي ، السنن الكبرى ، تحقيق ، محمد عبد القادر عطا ، بيروت ،، دار الكتب العلمية،ط٣، ٢٠٠٣م، ص ٩٤

(٧) سورة البقرة / ١٧٧

(٨) عبد الرحمن بن عبدالله بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق ، فتحي انوار الدابولي . مجدى فتحي السيد، القاهرة ،دار الصحابة للتراث بطنطا،١٤١٦ه،ج٣،ص٣٣٣

ثالثا: وصايا النبي (صلى عليه الله عليه وآلهِ وسلم) بعدم الغلو و الغدر في العدو: كان الرسول **(صلى عليه الله عليه وآلهِ)** نموذجا رائعا للإنسانية ، فهو الرؤوف الرحيم في افعاله واقواله ، والمتتبع لوصاياه **(صلى عليه الله عليه وآلهِ)** في الحروب وسيرته العطرة يجد أن الخُلق الرفيع هو جوهر رسالته ، لذلك امتدحه الله (ﷻ) في اخلاقه فقال تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم) [١]

ولهذا سنَّ من خلال وصاياه للأمراء والقادة قوانين عدة للتخفيف من ويلات الحرب بقوله **(صلى عليه الله عليه وآلهِ وسلم) : اغزوا بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا)** [٢]، وعن أنس بن مالك أن رسول الله **(صلى عليه الله عليه وآلهِ)** قال: **(انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله، لا تقتلوا شيخا فانيا، ولا طفلا، ولا صغيرا، ولا امرأة، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين)**[٣]

ومن خلال النصوص السابقة نجد ان الرسول **(صلى عليه الله عليه وآلهِ وسلم)** وضع دستورا خاصا في قتال الاعداء_شمل عدم الغدر والغلو والتمثيل بالعدو ، وكذلك الرحمة والرفق بالأطفال النساء وعدم قتلهم ، فضلاً عن نهيه **(صلى عليه الله عليه وآلهِ وسلم)** عن قتل الشيوخ كبار السن [٤].

ومما سبق يتبين ان الحروب التي كانت في عهد النبي **(صلى عليه الله عليه وآلهِ وسلم)** لم تكن دموية ، ولا تخريبية ، وذلك لأنه حقن دماء الاطفال ، والنساء ، والشيوخ ، وحتى المنقطعين للعبادة ، وكذلك الخدم ، الذين يكرهون القتال [٥]..

ثالثا : وصايا الرسول (صلى عليه الله عليه وآلهِ وسلم) بالقتلى وذويهم :-

أ-عدم التمثيل بجثث القتلى: حيث نهى الإسلام عن التمثيل في جثث قتلى العدو على لسان النبي **(صلى عليه الله عليه وآلهِ)** **("إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور)**[٦] ، وبأنّه لا يجوز أن يمثّلوا بأجساد الكفّار أو الحيوانات بمعنى أن يقطّعوها أكثر ممّا يحصل لها في القتال ، فكيف الامر مع الانسان.

ب- المعاملة بالمثل: أكّد الإسلام على ضرورة رعاية الأحكام الإنسانية والشرعية، ولم يكن مستعدّاً حتى في ساحة الحرب أن يطلب من أتباعه النصر عن طريق الجور والظلم، وأمّا فيما لو تجاوز العدو هذه الأحكام، فيسمح

---

(١) سورة القلم ،/ ٤.

(٢) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الشمائل المحمدية، تحقيق سيد بن عباس ، مكة المكرمة ، المكتبة التجارية ،١٩٩٣م،ص٣٣

(٣)احمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ،تحقيق ،محمد فؤاد عبد الباقي بيروت ،دار المعرفة ، بيروت بيروت
١٩٩٥م ، ص٩٩

(٤) أبو الفرج علي بن إبراهيم نور الدين الحلبي، السيرة الحلبية ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م).

(٥) محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري: كتاب المظالم، باب النهي من غير إذن صاحبه (٢٣٤٢)، ورواه الطيالسي في مسنده (١٠٧٠)، ورواه البيهقي في سننه الكبرى (١٤٤٥٢).

(٦) محمد بن علي بن ابراهيم المازِندي ، شرح اصول الكافي، بيروت ، دار الكتب الاسلامية ، ١٩٠٧،ج٦، ٢٠٨

الإسلام بمقابلته بالمثل. حيث يقول تعالى: (وَإِن عَاقَبتُم فَعَاقِبُواْ بِمِثلِ مَا عُوقِبتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرتُم لَهُوَ خَير لِّلصَّٰبِرِينَ) [١]، ومع أنّه قد عُدَّت المقابلة بالمثل جائزة في هذه الآية، إلاّ أنّ المسلمين قد دُعوا من جديد في آخر الآية إلى التحمّل والإغضاء. وفي آية أخرى، وضمن الإشارة إلى هذا الأصل، يُفهمنا القرآن الكريم أنّ المقابلة بالمثل هي أمر جائز في نفسه، وأنّ عدم رعاية حدوده لا يتلاءمُ مع أصل التقوى: (ٱلشَّهرُ ٱلحَرَامُ بِٱلشَّهرِ ٱلحَرَامِ وَٱلحُرُمَٰتُ قِصَاص فَمَنِ ٱعتَدَىٰ عَلَيكُم فَٱعتَدُواْ عَلَيهِ بِمِثلِ مَا ٱعتَدَىٰ عَلَيكُم وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلمُتَّقِينَ) [٢]

رابعا:- وصية الرسول بعدم الإفساد في الأرض :لم تكن حروب الرسول**(صلى عليه الله عليه وآلهِ)** حروب تخريب كالحروب المعاصرة التي يحرص فيها المتقاتلون من غير المسلمين على إبادة مظاهر الحياة لدى خصومهم، بل كان النبي **(صلى عليه الله عليه وآلهِ)** والمسلمون يحرصون أشدّ الحرص على الحفاظ على العُمران في كل مكان، ولو كان بلاد أعدائهم؛ فقد جاء في وصيته **(صلى عليه الله عليه وآلهِ وسلم)** لجيش مؤتة: "**.... ولا تَقْطَعَنَّ شَجَرَةٍ وَلا تَعْقِرَنَّ نَخْلًا ولا تَهْدِمُوا بَيْتًا)**"[٣] .

وعن أبي عبد الله "**عليه السلام**" قال "إنّ النبي **(صلى عليه الله عليه وآلهِ وسلم)** كان إذا بعث أميراً له على سرية أمره بتقوى الله عزّ وجل في خاصّة نفسه، ثمّ في أصحابه عامّة ثم يقول: **... ولا تُمثِّلوا..ولا تحرقوا النخل، ولا تُغرِقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تُحرِقوا زرعا)**[٤]، ويجب الالتفات إلى أنّه من الممكن لغرضِ قطع جذور فتنة الحرب والحدّ من وقوع مضارّ أكبر، ألا تُراعَى هذه الأمور بمقدار حدّ الضرورة، وخصوصاً في الوقت الذي يستغلّ العدو رعاية المسلمين لهذه الأحكام لمصلحته، فيستقرّ مثلاً في مزرعة، أو أرضٍ ذات نخل، أو قلعة، ولا يكون هناك من طريق للوصول إليه إلاّ إشعال النار في المزرعة أو قطع النخيل أو إغلاق الماء، فعندما نقض يهود "بني النضير" عهدهم، وهمّوا بقتال المسلمين، قاموا باللجوء إلى حصونهم. وفي كل مرّة كان المسلمون يقتربون من إحدى هذه القلاع وتتعرّض لخطر السقوط الحتمي، كانوا يتراجعون إلى قلعة أخرى بعد تخريب كلّ شيء وراءهم. فلهذا، ولغرض استسلامهم، أمر النبي **(صلى عليه الله عليه وآلهِ)** بأن تُقطع أشجار نخيلهم. فاعترض اليهود الذين كانوا شديدي الحرص على زراعته م، قائلين إنّ هذا لا يتلاءم مع أخلاق النبي **(صلى عليه الله عليه وآلهِ)** ، فنزلت هذه الآية لتوضح حقيقة ما فعله المسلمون: (مَا قَطَعتُم مِّن لِّينَةٍ أَو تَرَكتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذنِ ٱللَّهِ وَلِيُخزِيَ ٱلفَٰسِقِينَ) [٥].

---

(١) سورة النحل، / ١٢٦.
(٢) سورة البقرة/١٩٤
(٣) البيهقي في سننه الكبرى (١٧٩٣٥).ص٢٣٤
(٤) محمد بن الحسن بن علي العاملي، وسائل الشيعة ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ،١٩٧٢،ج١٥ص٥٩
(٥) محمد حسين الطبطبائي ، الميزان في تفسير القران ،بيروت ، دار الاحياء العربي ١٩٧٠، ج١٩ ، ص٢٠٨

خامسا- النهي عن قتل النساء والعجّز والأطفال: عن جعفر بن غياث أنّه سأل أبا عبد الله "**عليه السلام**" عن النساء كيف سقطت الجزية عنهنّ ورفعت عنهن؟ قال: فقال "عليه السلام" : (لأنّ رسول الله (**صلى عليه الله عليه وآلهِ وسلم**) نهى عن قتل النساء والولدان في دار الحرب إلا أن يقاتلن)[١].

دعاء الامام زين العابدين (عليه السلام) لأهل الثغور :[٢] بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (اللَّهُمَّ وأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَهَمَّهُ أَمْرُ الْإِسْلَامِ، وأَحْزَنَهُ تَحَزُّبُ أَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ فَنَوَى غَزْواً، أَوْ هَمَّ بِجِهَادٍ فَقَعَدَ بِهِ ضَعْفٌ، أَوْ أَبْطَأَتْ بِهِ فَاقَةٌ، أَوْ أَخَّرَهُ عَنْهُ حَادِثٌ، أَوْ عَرَضَ لَهُ دُونَ إِرَادَتِهِ مَانِعٌ فَاكْتُبِ اسْمَهُ فِي الْعَابِدِينَ، وأَوْجِبْ لَهُ ثَوَابَ الْمُجَاهِدِينَ، واجْعَلْهُ فِي نِظَامِ الشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ.اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ وآلِ مُحَمَّدٍ، صَلَاةً عَالِيَةً عَلَى الصَّلَوَاتِ، مُشْرِفَةً فَوْقَ التَّحِيَّاتِ، صَلَاةً لَا يَنْتَهِي أَمَدُهَا، ولَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهَا كَأَتَمِّ مَا مَضَى مِنْ صَلَوَاتِكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِكَ، إِنَّكَ الْمَنَّانُ الْحَمِيد).

المطلب الثاني : اخلاقيات الامام علي "عليه السلام" في حروب التأويل:

أ. **عدم الابتداء بالقتال:**

أوصى (الإمام علي "**عليه السلام**" في كتابه إلى مالك الأشتر قبل وقعة صفين -:(**إياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدؤوك، حتى تلقاهم، وتسمع منهم، ولا يجرمنك شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة)** [٣]، وعنه "**عليه السلام**" – من وصية له لعسكره قبل لقاء العدو بصفين -:(**لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم؛ فإنكم بحمد الله على حجة، وتركك إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم. فإذا كانت الهزيمة – بإذن الله – فلا تقتلوا مدبرا، ولا تصيبوا معورا، ولا تجهزوا على جريح)** "[٤].

ب. **النهي عن الدعوة إلى المبارزة:**

قال الإمام علي "**عليه السلام**" – لابنه الحسن "**عليه السلام**" : **(لا تدعون إلى مبارزة، وإن دعيت إليها فأجب؛ فإن الداعي إليها باغ، والباغي مصروع)**"[٥]

ت. **الحصانة السياسية للرسل :**

---

(١) محمد بن الحسن بن علي العاملي، مصدر سابق، ص٥٩

(٢) الامام علي بن الحسين زين العابدين(عليه السلام)، دعاء لأهل الثغور الصحيفة السجادية ، قم، دار الكتب الاسلامية،١٩٨٥م ص ٢٤٥.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ١٠، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٧٠، الفتوح: ٣ / ٣٢

(٤) وقعة صفين: ١٥٣، بحار الأنوار: ٣٢ / ٤١٤ / ٣٧٤.

(٥) نهج البلاغة: الكتاب ١٤، وقعة صفين: ٢٠٣.

ورد عن الإمام علي "**عليه السلام**" قوله وتوجيهه للمقاتلين : **(إن ظفرتم برجل من أهل الحرب فزعم أنه رسول إليكم؛ فإن عرف ذلك منه وجاء بما يدل عليه فلا سبيل لكم عليه حتى يبلغ رسالاته ويرجع إلى أصحابه، وإن لم تجدوا على قوله دليلا فلا تقبلوا منه)**"[١]

ث. **إقامة الحجة قبل الحرب :**

عن البراء بن عازب: بعثني علي"**عليه السلام**" إلى النهر إلى الخوارج، فدعوتهم ثلاثا قبل أن نقاتلهم "[٢] وعنه "**عليه السلام**" – من كتابه إلى من شاق وغدر من أهل الجند"[٣] وصنعاء[٤] **(إذا أتاكم رسولي فتفرقوا وانصرفوا إلى رحالكم أعف عنكم، وأصفح عن جاهلكم، وأحفظ قاصيكم، وأعمل فيكم بحكم الكتاب. فإن لم تفعلوا فاستعدوا لقدوم جيش جم الفرسان، عظيم الأركان، يقصد لمن طغى وعصى، فتطحنوا كطحن وقعة صفين)**[٥] ، وعن تميم: كان علي "**عليه السلام**" إذا سار إلى القتال ذكر اسم الله حين يركب، ثم يقول: **(الحمد لله على نعمه علينا، وفضله العظيم،** ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴾ [٦] ثم يستقبل يستقبل القبلة، ويرفع يديه إلى الله، ثم يقول: **اللهم إليك نقلت الأقدام، وأتعبت الأبدان، وأفضت القلوب، ورفعت الأيدي، وشخصت الأبصار،** ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴾ [٧] **(سيروا على بركة الله)**[٨] **الله)**[٨]

ثم يقول: **الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، يا الله، يا أحد، يا صمد، يا رب محمد، بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،** ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [٩] **(اللهم كف عنا بأس الظالمين)** ، فكان هذا شعاره بصفين[١٠]. بصفين[١٠].

ج. **عدم البدء بالقتال بعد الزوال:**

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٢٣٣، عيون الحكم والمواعظ: ٥٢٧ / ٩٥٨٧، بحار الأنوار: ٣٣ / ٤٥٤ / ٦٦٨.
(٢) ابو بكر احمد بن الحسين البهيقي ، السنن الكبرى: ٨ / ٣٠٩ / ١٦٧٣٩.
(٣) الجند: مدينة شمالي تعز، وهي عن صنعاء (عاصمة اليمن) ثمانية وأربعون فرسخا، وهو بلد جليل به مسجد جامع لمعاذ بن جبل، وغالب أهلها شيعة (تقويم البلدان: ٩١).
(٤) صنعاء: عاصمة اليمن، وتقع جنوب الحجاز، وشمال مدينة عدن. كانت من أهم مدن اليمن والحجاز آنذاك
(٥) محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي: ٥ / ٢٨ / ٣٣
(٦) سورة الزُّخۡرُف / ١٣
(٧) سورة الأعراف /٨٩
(٨) وقعة صفين: ٢٣٠ و ٢٣١ نحوه، بحار الأنوار: ٣٢ / ٤٦٠ / ٣٩٧ وج ١٠٠ / ٣٦ / ٣١
(٩) سورة الفاتحة/ ١-٥
(١٠) محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي: ٥ / ٢٨ / ٥، علل الشرائع: ٦٠٣ / ٧٠ وفيه " التوبة " بدل " الرحمة " وكلاهما عن يحيى بن أبي العلاء.

ورد عن الإمام الصادق "**عليه السلام**":**(كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه لا يقاتل حتى تزول الشمس ويقول: تفتح أبواب السماء، وتقبل الرحمة، وينزل النصر. ويقول هو أقرب إلى الليل، وأجدر أن يقل القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المنهزم)**[١]

ح. **إعانة الضعيف:**

قال الامام علي "**عليه السلام**" – لأصحابه في ساحة الحرب بصفين **(أي امرئ منكم أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء، ورأى من أحد من إخوانه فشلا، فليذب عن أخيه بفضل نجدته التي فضل بها عليه، كما يذب عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله)** [٢]

–وايضا قال الامام علي **"عليه السلام"** : **(إذا رأيتم من إخوانكم في الحرب الرجل المجروح، أو من قد نكل به، أو من قد طمع عدوكم فيه، فقووه بأنفسكم)** [٣].

ح: حسن المعاملة مع بقايا العدو: عن إسماعيل بن علي: إن أول من عَلم قِتال أهل القبلة علي بن أبي طالب "**عليه السلام**" ولم يكن يقتل أسيرا، ولا يتبع منهزما، ولا يجهز على جريح، وكان الأمام علي "**عليه السلام**" يخرج كل يوم وينادي: **(أيها الناس، لا تجهزن على جريح، ولا تتبعن موليا، ولا تسلبن قتيلا،ومن ألقى سلاحه فهو آمن)** [٤] ، وعن عبد الله بن شريك عن أبيه: لما هزم الناس يوم الجمل، قال أمير المؤمنين "**عليه السلام**": **(لا تتبعوا موليا، ولا تجيزوا على جريح)**[٥]، ومن أغلق بابه فهو آمن.

(فلما كان يوم صفين، قتل المقبل والمدبر، وأجاز على جريح. ،فقال أبان بن تغلب لعبد الله بن شريك: هذه سيرتان مختلفتان)[٦] ، فقال: إن أهل الجمل قُتِل طلحة والزبير، وإن معاوية كان قائماً بعينهِ وكان قائدهم) [٧]، وعن أبي فاخته : إن علياً "**عليه السلام**" أتي بأسيرٍ يوم صفين، فقال: لا تقتلني صبرا. فقال على "**عليه السلام**" لا أقتلك صبراً؛ إني أخاف الله رب العالمين. فخلّى سبيله، ثم قال: أفيك خير تبايع [٨] .

وعن يزيد بن بلال: شهدت مع علي "**عليه السلام**" يوم صفين، فكان إذا أتي بالأسير قال: (لن أقتلك صبرا؛ إني أخاف الله رب العالمين. وكان يأخذ سلاحه، ويحلفّه لا يقاتله، ويعطيه أربعة دراهم. [٩] . وعن

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٣، الإرشاد: ١ / ٢٥٣، الجمل: ٣٣٤ وليس فيهما " بفضل نجدته

(٢) الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الخصال، قم المقدسة ، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٣ه، ٦١٧ / ١٠ عن عن أبي بصير ومحمد بن مسلم عن الإمام الصادق عن آبائه (عليهم السلام)، تحف العقول: ١٠٧، بحار الأنوار: ١٠٠ / ٢١ / ٨.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦١٧

(٤) احمد بن اسحاق اليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي ، بيروت ، دار الاجيال ، ١٩٦٠ ، ج٢ ، ص٥٥

(٥) أجزت على الجريح: لغة في أجزت. واجز على الجريح وأجز: أثبت قتله (تاج العروس: ٨/ ٤٠و٤١.

(٦) في جميع المصادر، ولعل المراد: " قتل قادتهم " أو نحو ذلك

(٧) الكافي : ٥ / ٣٣ / ٥ ، رجال الكشي : ٢ / ٤٨٢ / ٣٩٢ ، بحار الأنوار : ٣٣ / ٤٤٦ / ٠٦٥٧

(٨) عبد الله ابن ابي شيبه ،المصنف الابن ابي شيبه ، تحقيق ، شعيب الأرناؤوط ،بيروت ، دار الفكر ،٢٠٠٠، ج٨، ص٧٢٥.

(٩) المصدر نفسه، ص٧٢٥.

وعن أبي جعفر: كان على "**عليه السلام**" إذا أتي بأسير صفين أخذ دابته وسلاحه، وأخذ عليه أن لا يعود، وخلى سبيله [١]، و ورد عن الإمام علي "**عليه السلام**" – بعد التحريض على القتال في صفين **(ولا تمثلوا بقتيلٍ، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة بأذى ، وإن شتمن أعراضكم وسبّبن أمراءكم وصلحاءكم؛ فإنهنّ ضعاف القوى والأنفس والعقول، وقد كنا نؤمر بالكفِ عنهن وهن مشركات! وإن كان الرجل ليتناول المرأة فيُعير بها وعقبه من بعده)** [٢]

المبحث الثاني

الدور السياسي للمرجعية الدينية في العراق

اولاً: فتوى تحريم التنباك: ظهرت البدايات الأولى في بروز الوعي السياسي للمرجعية الدينية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي متمثلاً بالفتوى التي أصدرها السيد محمد حسن الشيرازي في مدينة سامراء لتحريم امتياز التبغ في إيران عام (١٨٩١م) [٣]، والتي جاءت ضد النفوذ الأجنبي في إيران، وقد مثل هذا التصدي الدور الأساس في التخلص من الأزمة وتحقيق النصر ضد مطامح البريطانيين[٤] ، وكان نص هذه الفتوى جملة قصيرة هي **(التدخين (التدخين الآن حرام وبمثابة محاربة لإمام الزمان)** ، وقد سجلت هذه الفتوى باعتبارها تتويجاً لدور المرجعية الشيعية ، وإعلاناً لا تنقصه البلاغة عن ثباتها وقوة نفوذها ، وهو النفوذ الذي مكنَ فقيهاً تابعاً في سامراء بالعراق ، من أن يشل حركة الشاه في ايران ، ويرغمه على التراجع علناً، بفتوى صغيرة من سبعِ كلمات! [٥]

ثانياً: الموقف من المستبدة والمشروطة: أما الدور الذي خاضته المرجعية الدينية في بداية القرن العشرين اتجاه الثورة الدستورية الإيرانية (١٩٠٥–١٩١١) [٦]، والتي أدت إلى انقسام الرأي في كربلاء والنجف الاشرف تبعًا لمرجعية المُقلدِين إلى فريقين سُمّي أحدهما بـ(المشروطة) والتي تؤيد المبادئ الدستورية، أما الفريق الثاني فهو (المستبدة) وهم من رفضوا الدستور جملة وتفصيلاً [٧]، إذ أيدّ الشيخ محمد تقي الشيرازي الحركة الدستورية في إيران عام (١٩٠٦م)، عندما بارك هو ومجموعة من علماء الدين في العراق [٨] بفتوى أيدوا فيها الدستور والمجلس الشعبي الإيراني المنتخب ، ونصت فتواهم السياسية .**(... وأن الإقدام على مقاومة المجلس العالي بمنزلة الإقدام**

---

(١) المصدر نفسه ص٧٢٧

(٢) الكافي ٥ / ٣٩ / ٤ عن مالك بن أعين، واقعة،صفين،٢٠٤ عن جندب وزاد فيه " إلا بإذني " بعد " دارا "، نهج البلاغة: الكتاب ١٤ وفيه من " ولا تهيجوا... "، بحار الانوار٣٢ / ٥٦٣ / ٤٦٨؛ شرح نهج البلاغة :٤ / ٢٥ وزاد فيه " إلا بإذن " بعد " دارا ".

(٣) حازم صاغية، صراع السلام والبترول في إيران، ط ١ ، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨م)، ص ٨٥-٨٦

(٤) قحطان جابر أسعد التكريتي، دور المثقفين والمجددين في الثورة الدستورية الإيرانية ١٩٠٥-١٩١١م،رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية ، جامعة تكريت ، ٢٠٠٥م).

(٥) فهمي هويدي ، ايران من الداخل، القاهرة، مركز ، الاهرام ط٤ ، **١٩٩١**، ، ص٦٤-٦٥

(٦) محمد علي كمال الدين ، التطور الفكري في العراق ، بغداد ،شركة التجارة والطباعة ، ١٩٦٠م)، ص ٢٤

(٧) ماجد الغرباوي، الشيخ محمد حسين النائيني (منظر الحركة الدستورية)، النجف الاشرف ، مؤسسة الأعراف للنشر ، (١٩٩٩م)، ط١ ص ٦٢

(٨) المصدر نفسه ،ص٦٢

على مقاومة أحكام الدين الحنيف...) ، فضلاً عن اصدار الشيخ محمد حسين النائيني لكتابه الشهير **(تنبيه الأمة وتنزيه الملّة)** الذي يعد تنظيراً لهذه المواقف المؤيدة للمشروطة الذي كتب فيه النائيني قائلاً:

(في غيبة الإمام المعصوم ، فأن افضل وسيلة لتجنب انحراف السلطة هي إلزام الحكم بدستور يحدد حقوق وواجبات الدولة ، ثم انشاء مجلس يضم (الأذكياء والحكماء في البلاد الذي يضمرون الخير للشعب) ، من اجل الإشراف على تطبيق الدستور ومراقبة اعمال الدولة، ويجب الا يتضمن الدستور أية مواد تتعارض مع الإسلام، وان منع الحكم المطلق من خلال وضع دستور وانشاء مجلس شعبي ، هو فريضة دينية ، على الرغم من اختفاء الإمام عن الأنظار ومن انسحاب الشرعية في الوقت ذاته من المستوى الدنيوي)[١]، إذ ان أهمية الموقف الذي اتخته المرجعية الدينية في النجف الأشرف في انها كانت عنصراً فعالاً ومهماً في فرض هذا المجلس على شاهات القاجاريين الذين تميز حكمهم بالدكتاتورية والتسلط ، فتمكنت المرجعية من اجبارهم على القبول بالحكم الإسلامي والاستماع الى صوت الشعب الإيراني ([٢]).

رابعاً: الموقف من الاجتياح الروسي لشمال إيران ومشهد الامام الرضا "عليه السلام":

لم يكن موقع المرجعية الدينية مقتصرًا على تحريك الأحداث السياسية العراقية الداخلية إبان تلك المدة فحسب بل توسع إلى المساندة الإقليمية في الأحداث التي تتعرض لها المنطقة بأسرها ولاسيما في عام(١٩١١م) عندما اجتاحت القوات الروسية شمال إيران أثر الخلاف المائي الحاصل بينهما وقيام القوات البريطانية باحتلال جنوب إيران ، فضلا عن قيام القوات الروسية بقتل علماء الدين في تبريز وإشاعة الرعب في صفوف الناس، وعندها أعلن علماء الدين في العراق في النجف الأشرف الجهاد ضد القوات الروسية الغازية، وبرز موقف آخر للشيخ الشيرازي عندما وصل الى العراق خبر قصف القوات الروسية مرقد الإمام علي بن موسى الرضى (في أواخر آذار ١٩١٢م)، فتهدم جانب من القبة والسقف وقتل عدد من الزوار ،وحينها اجتمع الشيخ محمد تقي الشيرازي المقيم في سامراء ومجموعة من العلماء والمجتهدين في مدينة الكاظمية من بينهم الشيخ مهدي الخالصي والسيد إسماعيل الصدر، وكان المجتمعون ينوون إعلان الجهاد ضد روسيا، لكنهم تريثوا لبحث آخر التطورات ودراسة الأحداث بشكل دقيق ، وجرى تبادل البرقيات بين العلماء من جهة وبين الحكومة الإيرانية من جهة أخرى ، وطلبت الأخيرة من العلماء التريث لبعض الوقت لتقوم هي بحل الأزمة سلمياً عن طريق المفاوضات مع روسيا، [٣]كما اعطى الشيخ كاشف الغطاء الإجازة والتخويل للشاه الإيراني فتح علي شاه القاجاري للتصدي للدفاع عن البلاد الإسلامية امام شن

(١) فهمي هويدي ، مصدر سابق، ص ٦٨، وعلق هويدي قائلاً(يعد هذا الكتاب وثيقة نادرة تعبر عن النظرية السياسية الشيعية ، فضلاً عن انه يعد منذ صدوره في أوائل القرن العشرين والى الان ، المنطلق الأساسي لمواقف الأغلبية الساحقة من فقهاء الشيعة).

(٢) محمد هاشم خويطر، موقف المرجعية الدينية في النجف الأشرف من الثورة الدستورية في ايران، بغداد، الجامعة المستنصرية ، مجلة الآداب، العدد ١١٥، ٢٠١٦،ص ٢٠٤

(٣) ماجد الغرباوي،، مصدر سابق، ص ٦٢

الروس لهجماتهم هذه [١] ، واعقبها اصدار السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض فتوى مشابهة داعيا الجميع للدفاع عن أرواح المسلمين واموالهم [٢].

خامساً: الموقف من الغزو البريطاني للعراق: بعد قيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨م) ودخول الدولة العثمانية الى جانب ألمانيا ضد دول (الحلفاء) ومنهم بريطانيا حيث بدأت الأخيرة بغزو العراق الذي كان جزءاً من الدولة العثمانية، فاحتلت القوات البريطانية مدينة البصرة في (٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤م)، ثم القرنة في (٩ كانون الأول) من السنة ذاتها وحينها قام كبار علماء المسلمين الشيعة بمبادرة منهم بأصدار فتاوى تدعو إلى الجهاد ومقاومة الاحتلال البريطاني وتأييد العثمانيين في الحرب على اعتبار إن شرهم أهون عليهم من خطر البريطانيين الكفار ، إذ قاموا بتعبئة سكان المدن والعشائر وحثهم على الجهاد وتنظيم تطوع المجاهدين وقيادتهم إلى جبهة الحرب [٣].

ولم تأتِ هذه المواقف للمرجعية الدينية ولاسيما المواقف السياسية لم من فراغ بل كانت بداياتها متمثلة بنمو الحركة الإسلامية في المدن الشيعية المقدسة أوائل القرن العشرين وحتى الاحتلال البريطاني للعراق عام (١٩١٤م) إذ تمثل ذلك النمو بعدد من المظاهر السياسية والفكرية للتيارات التي تولدت عنها وكانت النجف وكربلاء إذ شكلتا المركز القيادي الأساسي للحركة الإسلامية ومظاهرها الفكرية وتياراتها [٤]، وهكذا دخلت المؤسسة الدينية حقبة جديدة هامة من تطورها السياسي والفكري وكانت المواجهة المسلحة هي السمّة البارزة لهذه الحقبة، [٥]، وارسل زعيم الحوزة الشيخ محمد تقي الشيرازي نجله الأكبر الشيخ (محمد رضا) للالتحاق بالسيد مهدي الحيدري في مواقع القتال والمواجهة في منطقة الشعيبة بالبصرة عام (١٩١٥م) [٦]،إذ استجاب على الفور المراجع الكبار لهذا الحدث وأوجبوا بفتوى على ضرورة الجهاد دفاعًا عن بيضة الإسلام ، وفي تلك المدة برز دور كبار المجتهدين ورجال الدين الآخرين الذين قاموا بأدوار قيادية بارزة في حركة الجهاد [٧]، وكان أبرزهم السيد محمد سعيد الحبوبي [٨] الذي كان أول من بادر

---

(١) الشيخ جعفر بن الشيخ خضر الجناحي كاشف الغطاء، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء- تحقيق مكتب الاعلام الإسلامي - فرع خراسان الرضوي، قم المقدسة، مؤسسة بوستان كتاب،ج٤، ٢٠٠٠م،ص٣٣٣-٣٣٤

(٢) محمد الحسني البغدادي ، وجوب النهضة – رؤية تأسيسية استباقية حول الجهاد الكفائي، تحقيق احمد الحسني البغدادي، النجف الاشرف، ادارة الموقع الرسمي لسماحة الفقيه المرجع أحمد الحسني البغدادي، ٢٠١٢، ص ٤٨

(٣) عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى، بغداد ، دار الرافدين، ٢٠١٣ ، ص٤٧

(٤) عبد الرزاق الحسني ،تاريخ العراق السياسي الحديث، بيروت ، مطبعة العرفان،٢٠٠٧، ج١،،ص١٩٨

(٥) علاء عباس نعمة، ثورة العشرين دراسة تاريخية، بغداد، دار الرافدين، ٢٠١٠،ص٤٣

(٦) محمد الحسيني الشيرازي، الامام الثائر ، النجف، مطبعة الادب،١٩٦٦، ط١، ص٣٧

(٧) المصدر نفسه ، ٣٤

(٨) السيد محمد سعيد الحبوبي : محمد سعيد بن محمود بن كاظم الحبّوبي (١٨٥٠/٤/١٦-١٩١٥/٦/١٤م) فقيه وشاعر عراقي ولد في النجف الاشرف ونشأ فيها ودرس بها، زامل السيد جمال الدين الافغاني اربع سنوات اثناء الدراسة، تولى التدريس وصار اماماً في الصحن الحيدري الشريف في العتبة العلوية المقدسة ، وله مجالس أدبية ،وله ديوان شعر طبع عدة مرات وقد اشتهر بمواقفه الكبيرة ضد الاحتلال البريطاني للعراق ، وقاد جيشاً من أبناء الفرات الأوسط وجنوب العراق لمقاومة الإنكليز سنة ١٩١٤ ، ومرض خلال المعارك وتوفي في مدينة الناصرية جنوب العراق ، ونقل جثمانه للنجف الاشرف ودفن في العتبة العلوية المقدسة ، ينظر:
(كامل سلمان الجبوري، معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢ ، بيروت، دار الكتب العلمية، المجلد ٥، ٢٠٢٣،ص٣٣٠.

إلى قيادة مجموعات من المجاهدين والتوجه بهم إلى البصرة ، وقد التف حوله العديد من العلماء الذين عملوا على تعبئة عشائر الفرات الأوسط وجنوب العراق وحثها على الجهاد[١] مما خلق حالة من التلاحم والتواصل والتنسيق المباشر مع عموم السعب العراقي وعشائره الكريمة.

سادساً: قيادة المرجعية الدينية لثورة العشرين: قامت الثورة العراقية الكبرى المعروفة بثورة العشرين في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ على اثر الفتيا التي أصدرها آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي ضد الاحتلال البريطاني للعراق ، إذ حددت الثورة أهدافها بالدفاع عن حقوق الامة والجهر باستقلال البلاد العراقية بحدودها الطبيعية بدون تدخل اجنبي في ظل دولة عربية وطنية يرأسها ملك عربي مسلم مقيد بمجلس تشريعي [٢]، كما اصدرت المرجعية الدينية لثورة العشرين وصاياها برسائل وجهها آية الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي وبقية المرجعيات الدينية الى قادة الثورة في مناطق العراق المختلفة وعموم المقاتلين في ساحات المعارك والمدن والمجتمعات **بمراعاة قواعد الدين الحنيف ، والشرع الشريف، والظهور بمظهر الامة المتماسكة الجديرة بالاستقلال التام ، المنزه عن الوصاية الذميمة ، وحفظ حقوق المواطنين من غير المسلمين ، والاستمرار برعاية الأجانب الغرباء ، وصيانة نفوسهم واموالهم واعراضهم واحترام كرامة شعائرهم الدينية** [٣].

كما لم يكن الفكر السياسي لثورة العشرين في تحديده لأصل السلطة بعيداً عن الواقع العيني للعراق الذي كان خاضعا للسلطة البريطانية، إذ انتهى به الى ان يقف موقفا مناوئاً للسلطة البريطانية القائمة في العراق، بوصفها حكومة غير شرعية لأنها لا تستمد سلطتها من أصول شعبية ، فضلاً عن تطرق هذا الفكر لأشكال السلطة السياسية ومنها الملكية والجمهورية ، وبيان آليات وكيفية ممارسة السلطة السياسية، والتصريح بتبني النظام البرلماني بوصفه افضل وسيلة لممارسة السلطة السياسية وإقرار الحقوق السياسية والمدنية لعموم الشعب العراقي [٤].

سابعاً: الموقف من تشكيل النظام الملكي في العراق:

- **الموقف من التنصيب :**

مثلت المرجعية الدينية نضجاً سياسياً ووعياً رفيع المستوى في بداية القرن العشرين عبر تمكنها من بلورة مشروعها السياسي الذي اعتمد بشكل رئيسي على العنصر الجماهيري (العشائري)، وكان لمعارضة مراجع وعلماء الدين الدور الأكبر في التأثير على الأحداث السياسية ، إذ انه على الرغم من انتهاء ثورة العشرين ، وتنحي رجالها وتجريد مناطق الفرات الاوسط من السلاح ، الا ان المرجعية التي كانت بزعامة شيخ الشريعة الاصفهاني واصلت دعواتها للعمل المسلح ضد البريطانيين والحكومة المؤقتة ،كما ان الشيخ محمد رضا نجل الميرزا الشيرازي بقي على اتصال

(١) عبد الله النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ،بيروت، دار النهار، ١٩٧٣م)، ص ٨٦

(٢) محمد علي كمال الدين ، ثورة العشرين–الثورة العراقية الكبرى، النجف الاشرف، منشورات دار البيان، ١٩٧١ ، ص ١٧٨-١٧٩ ١٧٩

(٣) المصدر نفسه ، ص١٨٩-١٩١

(٤) نديم عيسى ، الفكر السياسي لثورة العشرين ، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٢، ص ١٩١-٢٣٩

برؤساء العشائر من منفاه خارج العراق [١]، الأمر الذي جعل المناطق تتهيأ لثورة ثانية على البريطانيين [٢]، وبهذا لم يكن بإمكان السلطات البريطانية ان يبقى العراق بدون ملك أو عاهل عربي يحكمه لأكمال واجهة الحكومة العراقية المؤقتة من جهة ، إذ تبلور الاتجاه المؤيد للأمير فيصل بن الشريف حسين في مؤتمر القاهرة الذي عقد في آذار ١٩٢١ لمناقشة مشاكل بريطانيا في الشرق الأوسط ومنها العراق [٣]، وطرح المؤتمر ترشيح فيصل لعرش العراق ، فقد ايدت المس بيل اعتقاد تشرشل في ان فيصل هو المرشح الوحيد الذي يمكن الاتفاق معه لربط العراق وبريطانيا بمعاهدة تحالف [٤]، وقد تباينت أراء المؤسسة الدينية بين مؤيد لتنصيب فيصل ملكا على العراق ومعارض لذلك،[٥] ، وكان هذا الاتجاه هو الاكثر تأثيرا في الاوساط الشعبية ، وقد ظهر ذلك واضحا عند زيارة فيصل الى مناطق الفرات الأوسط والنجف وكربلاء ، إذ كان الاستقبال الجماهيري ضعيفا على الرغم من جهود السلطات الادارية في تحشيد الناس لاستقبال الملك القادم بالشكل المناسب واللائق به ، كما ان علماء الدين لم يخرجوا لاستقبالهِ وشاع بين الناس ان المرجعية لا توافق على تنصيب الأمير فيصل ملكا على العراق [٦]، ولقد كان الأمير الأمير فيصل يدرك أن للمرجعية الدينية مكانة مرموقة في نفوس سكان العراق من الشيعة ، ولكي يظهر تقديره واحترامه للشيعة الذين كانوا يطالبون بالاستقلال التام بغيرة وحماسة ، اختار يوم (٢٣ من شهر اب ١٩٢١) يوماً لحفلة تتويجه وهذا اليوم يوافق(١٨ ذي الحجة عيد الغدير) الذي يحتفل به الشيعة في العراق ، إذ ان هذا التنصيب لم يأتِ بشكل اعتباطي ، بل بقصد إرضاء طموح قطاعات واسعة من محركي ثورة العشرين، التي لولاها لما كان قد نصب ملكاً على العراق الشكل والسرعة والكيفية التي تمت فيها[٧].

الموقف من الانتخابات: بدأت عملية الاستفتاء في أواخر تموز ١٩٢١ ، التي تم التخطيط لها مسبقا بوصفها بيعة للأمير فيصل بالمُلك وانتهت تلك العملية في / اب / ١٩٢١وجرت في الغالب حسبما كان متوقعا لها ، وكانت تلك العملية تهدف الى ان يظهر العراق وكأنه انتخب حاكمه وماهي الا تكملة للخطوات التي رسمت في مؤتمر القاهرة الهادفة الى ان يكون استقبال فيصل عند وصوله العراق حافلا [٨].

في ٢٠ تشرين الأول ١٩٢٢ أصدر عبد المحسن السعدون أوامره بصفته وزيرا للداخلية الى المتصرفين بالقيام بأجراء انتخاب المجلس التأسيسي لغرض المصادقة على المعاهدة البريطانية، وفي هذا الوقت بدأ الفقهاء نشاطهم

---

(١) عبد الرحيم الهويمي ، المرجعية الدينية ودورها في تنصيب الملك فيصل، بغداد ، دار الشؤن الثقافية ، ١٩٩٧م،ص٢٣٨

(٢) اخلاص حريز الكعبي ،المرجعية الدينية في العراق ودورها السياسي ، بغداد ، دار الشؤن الثقافية ، ٢٠٠٣، ص١٦٢

(٣) محمد هاشم خويطر ، المرجعية الدينية ودورها في تنصيب الملك فيصل ،الرياض ،دار المؤرخ ،٢٠٠٣م ،ص٣٠٤

(٤) علاء جاسم محمد الحربي ، الملك فيصل الاول حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسوريا والعراق ١٨٣٣ - ١٩٣٣ ، بغداد ١٩٩٠ ، دار الشؤن الثقافية ، ص ١٤٣ - ١٤٤

(٥) اخلاص حريز الكعبي ،مصدر سابق، ص١٦٣

(٦) عبد الله فهد النفيسي ، مصدر سابق، ص١٧٨

(٧) ينظر:
- اخلاص حريز الكعبي، الصدر السابق ص١٦٤
- نديم عيسى، مصدر سابق، ١٩٩٢، ص٦

(٨) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ،بغداد ،دار الشؤن الثقافية ،١٩٨٥، ج١، ص٦٥

بقوة للحيلولة دون اجراء هذه الانتخابات للمجلس حتى يحرموا البريطانيون من فرصة المصادقة عليها، وكانت هذه المعارضة بزعامة المراجع الكبار في النجف والكاظمية وفتاواهم بعدم المشاركة فيها وعلى رأسهم المرجع الاعلى ابو الحسن الاصفهاني ، والشيخ محمد حسين النائيني ، والشيخ مهدي الخالصي [١]، وسرعان ما انتشرت هذه الفتاوى بسرعة كبيرة في كافة أرجاء العراق وأصبح لها تأثير قوي على أبناء الشعب العراقي ، كما ان المجتهدين لم يكتفوا بذلك بل صاروا يشددون على تحريمهم للأنتخابات [٢].

- **المواجهة مع حكومة عبد المحسن السعدون الأولى ونفي عدد من المراجع الى إيران:**

واجهت الحكومة ومن ورائها الادارة البريطانية هذا النفوذ المتزايد لعلماء ومراجع الدين بعدة أسلحة وأساليب منها اثارة الدعوى الى فصل الدين عن السياسة ومن ثم منع علماء الدين من التدخل في الشؤون السياسية وإثارة الدعوة الى القومية العربية في مواجهة الدعوة الاسلامية واتهام علماء الدين والمجتهدين بأنهم اجانب وغرباء عن البلد واخيرا اللجوء الى سلاح الاعتقال والأبعاد والنفي ضدهم ، ونتيجة لهذه المعارضة الشديدة للانتخابات بقيادة المجتهدين ، قدمت وزارة النقيب استقالتها للملك فيصل ، فتألفت وزارة جديدة برئاسة عبد المحسن السعدون)[٣].

وكان من اوائل هذه الاساليب اثارة الدعوة الى فصل الدين عن السياسة بأعتبار هذا الفصل سوف يشكل عاملا مهما في سحب البساط من تحت اقدام العلماء والمجتهدين الذين كانوا يصدرون الفتاوي الدينية في الامور السياسية ،وتوجيه ضربة مباشرة لكتلة رجال الدين وذلك لاضعاف تأثيرهم بين قواعدهم إذ اخذ السعدون القيام بهذا العمل مستنداً الى مركزه كرئيس للوزراء ووكيلاً لوزارة الداخلية ، وتحقق من الأقطاب المحركة للمعارضة وتعقب عناوينهم واصدر الأوامر بإلقاء القبض على عدد من العلماء وفي مقدمتهم الشيخ مهدي الخالصي بعد محاصرته للكاظمية وتحويلها لثكنة عسكرية ، واعتقالهم ومن ثم بتسفير كبار المراجع الى خارج العراق لمواقفهم السياسية انفاً[٤].

ثامناً: نشير بشكل مضغوط الى المواقف الكبيرة للمرجعية الدينية بزعامة السيد محسن الحكيم إزاء عدد من قرارات وإجراءات حكومة الزعيم عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، ومن ثم المواجهة المباشرة مع نظام حزب البعث الذي استولى على السلطة بانقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، ومحاربته الاجرامية للحوزة العلمية ومرجعياتها الدينية وتسفير علمائها الى خارج العراق باتهامات ومقولات انتقامية وطائفية.

تاسعاً: المواقف السياسية وظروف مرجعية الشهيد محمد باقر الصدّر والمواجهة المباشرة مع نظام البعث البائد:

لقد أدرك الشهيد الصدر الأول خطورة حزب البعث منذ بداية وصوله إلى السلطة، حيث قال: (إن نظام الشاه كان واضحاً في ارتباطه بأمريكا، وهذا الأمر هو الذي أسقطه في قلوب الناس، وأما نظام البعث فهو يجمع بين مكر

---

(١) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ، بغداد: مطبعة المعارف،١٩٦٥،ج٦ ،ص ١٥٧ .
(٢) المصدر نفسه، ،ص٢٠٣.
(٣) المصدر نفسه ،ص٢٠٣
(٤) لطفي جعفر فرج، عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، بغداد، مكتبة اليقظة العربية، ١٩٨٨ ، ص ٨٧-٩٢

معاوية وبطش يزيد)، [١] ، حيث كان من أولوياتهم هو إلغاء دور المرجعية في حياة الأمة العراقية ... فبدأ النظام بملاحقة رجال الدين، واخذ يصطنع لهم كل الحيل لإبعادهم عن الساحة الاجتماعية فضلاً عن السياسة، فبدأت حملات التسفير بحق العلماء وطلبة الحوزات العلمية ومرجعياتها الدينية التي عمرت في النجف الاشرف لأكثر من الف عام، ومحاولة إنهائها وإنهاء نشاطها المرجعي – على حد تعبير التعميم الصادر من القيادة القومية للحزب في ١٩٩٦/٤/٤م – الذي أكدت فيه على ضرورة القضاء على (الرجعية الدينية) باعتبارها العقبة الكبرى في مسيرة الحزب والثورة، فكان أول جس نبض لقضية الوجود الديني هذا هو مصادرة الأموال التي كانت بحوزة القائمين على جامعة الكوفة (الخيرية الأهلية) والتي بلغت قرابة الخمسة ملايين دينار وقتها، وسحب إجازتها وذلك تحت ستار قانون تأميم المدارس الأهلية الذي أصدرته السلطة وصولاً لتحقيق أهدافها في احتكار الوجود الثقافي والفكري في البلد[٢].

ولقد أخذت الاعتقالات بصفوف العلماء والمثقفين يتصاعد بشكل مرعب وكانت تهمة الانتماء لحزب للحركة الإسلامية هي الذريعة الأقوى عند السلطة للتنكيل بعلماء الحوزة العلمية، وقد كان ضباط التحقيق يركزون في تحقيقاتهم على علاقة الصدر بهذه الحركة والوعي الإسلامي المتصاعد، ومنذ بداية الاعتقالات التي طالت المؤمنين في الجنوب، ومروراً باعتقال السيد الصدر في ١٩٧٢/٨/١٢ استمرت الاعتقالات والى بداية عام ١٩٧٤، إذ تم في ١٧ تموز ١٩٧٤م اعتقال القائد الإسلامي الكبير الشيخ عارف البصري مع مجاميع كبيرة من العلماء والشباب الملتزم المثقف)(٣) انتهاءً بإعدام السيد الشهيد محمد باقر الصدر وشقيقته بنت الهدى في نيسان ١٩٨٠م.

عاشراً: المواقف السياسية وظروف مرجعية السيد أبو القاسم الخوئي (الانتفاضة الشعبانية)آذار ١٩٩١

تصدت المرجعية الدينية في النجف الاشرف منذ انطلاق الانتفاضة الشعبانية المباركة في الرابع من اذار عام ١٩٩١م،وسريانها سريان النار في الهشيم، ، بزعامة المرجع الديني الأعلى الراحل ابي القاسم الخوئي "قدس سره"، لقيادة الانتفاضة في سبيل الخلاص من نظام العفالقة الذي حكم العراق بالحديد والنار [٤] ، اذ أصدر السيد الخوئي بتاريخ الخامس من اذار ١٩٩١م، بيانه الأول والذي اوصى فيه الى ضرورة ان يكون المجاهدين والمناضلين الذين خرجوا لمحاربة طاغية العصر وجلاوزته من البعثيين والصدامين ، **(مثالا صالحا للقيم الإسلامية الرفيعة وجعل الله عز وجل نصب اعينهم في ما يصدر عنهم من أفعال، وعدم التسرع باتخاذ القرارات غير المدروسة، والحفاظ على ممتلكات الناس واموالهم واعراضهم، فضلا عن حماية الممتلكات والمؤسسات العامة كونها ملك للجميع،**

---

(١) احمد عبد الله ابو زيد العاملي ، محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧م، ج٢ ص١٢٥.

(٢) محمد الشيخ هادي الاسدي ، الامام الحكيم عرض تاريخي لدوره السياسي والثقافي، نشر مؤسسة آفاق للدراسات والابحاث العراقية، الطبعة الاولى ١٤٢٩/٢٠٠٨، ج٢ ص١٤٠.

(٣) صلاح مهدي علي الفضلي، الدور الوطني للمرجعية الدينية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر (١٩٠٠- ٢٠٠٢) بيروت ، نشر مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م، ص٣٣٢.

(٤) عبد الامير عزيز القريشي ،مرقد الامام العباس ،بغداد ،دار النبأ ، ٢٠٢٢، ج٢،ص ٦٦

ودفن جثث الموتى الملقاة في الشوارع وفق الموازين الشرعية وعدم التمثيل بها لان تلك التصرفات تتنافى مع اخلاقنا الإسلامية)[١]

كما أصدرت المرجعية الدينية بيانها الثاني في الثامن من اذار عام ١٩٩١م، تلاه الشهيد العلامة السيد محمد تقي الخوئي نجل المرجع الأعلى ، جاء فيه **(ن البلاد تمر بمرحلة عصيبة تحتاج حفظ النظام واستتباب الامن والاستقرار والاشراف على الأمور العامة والدينية والاجتماعية تحاشياً من خروج المصالح العامة من التسيب والضياع)** ، كما تقرر تشكيل لجنة تضم نخبة من العلماء مهمتها ارشاد المجاهدين ومساعدتهم في انجاز المهام الملقاة على عاتقهم في تخليص العراق من الحكم الصدامي الديكتاتوري، وتألفت اللجنة من (السيد محي الدين الغريري والسيد محمد رضا الخلخالي والسيد جعفر بحر العلوم والسيد محمد رضا الخرسان و السيد محمد السبزواري و السيد محمد تقي الخوئي والشيخ محمد رضا الساعدي، وقد اضيف اليها لاحقاً السيد محمد صالح الخرسان[٢].

احد عشر: مرجعية السيد محمد الصدر والمواجهة الدموية مع نظام البعث البائد:

لم يأتِ الدور العملي الميداني الاجتماعي التجديدي للسيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر، الذي ميّز مشروعه التغييري على صعيد الحوزة العلمية ومرجعياتها الدينية من جهة ، وعلى صعيد عموم المجتمع من جهة أخرى، إلاّ وفق خطة تحرك عليها هذا المشروع ، بنيت على مرتكزات وآليات بدأت ب (تحييد السلطة) ومن ثم مرتكز إيجاد قاعدة شعبية ومرتكز إصلاحي داخلي للواقع الإسلامي وواقع الحوزة، ومرتكز تأسيس منظومة مفاهيم متجانسة متكاملة ، ومزجت هذه المرتكزات بواقع وخطاب سياسي ، بشكل يؤهل المشروع التغييري سياسياً ، بما يشكل افرازاً علوياً له إلاّ إن السلطة البعثية الغاشمة قطعت الطريق على تجسيد هذا الخطاب السياسي مثلما قطعته على حركة السيد الشهيد محمد باقر الصدر من قبل ، إذ عمل قانون الموت والقتل والاغتيال البعثي لعرقلة حركة المشروع الإسلامي العام في العراق ، فكان قرار اغتيال آية الله السيد محمد الصدر في ١٩٩٩/٢/١٩م بعد نجاح حركته الإصلاحية بإقامة صلاة الجمعة وهي اكبر آلية تواصلية بين الفقيه والمجتمع وبين الحوزة والأمة، اذ لم يُعمل بهذه من قبل، إلا بشكلٍ محدود، فضلاً عن انها تعد من الفرائض التي تشكل المنظومة المفاهيمية للإسلام السياسي ، وتجلت بوصفها معلماً من معالم مشروع الصدر الثاني التغييري بالعلاقة بين الحوزة والأمة [٣].

اثنا عشر: دور المرجعية الدينية في حرب داعش: تعد نظرية التحدي والاستجابة من أهم النظريات المعاصرة في فلسفة التاريخ ، والتحديات وفق هذه النظرية انواعاً مختلفة من بينها تحديات بيئية بشرية ممثلة بالكوارث الطبيعية أو الهزائم العسكرية الساحقة، وتحديات ضغوط الخارج عبر العدوان العسكري ، فضلاً عن التحديات الداخلية والتي من ابرز مظاهرها النقمة والتذمر الذي يحصل لدى سكان هذه الدول والمناطق او تلك لأسباب مختلفة ، وبالنظر

(١) المصدر نفسه، ص٦٧

(٢) عبد الأمير عزيز القريشي ، مصدر سابق ، ٦٧

(٣) صالح عباس ناصر الطائي، الدور السياسي للسيد محمد محمد صادق الصدر في تاريخ العراق المعاصر(١٩٩١-١٩٩٩م)، كربلاء المقدسة، جامعة أهل البيت "ع"، مجلة اهل البيت "ع"، العدد ٢٠، ٢٠١٦، ص٤٦٣-٤٦٤

للوضع العراقي المعقد ابان الهجوم التكفيري للدواعش على مناطق غرب العراق في حزيران ٢٠١٤ ، فأننا نجد ظهور كل هذه التحديات مجتمعة من ضغوط خارجية وداخلية وانهيار عسكري داخلي وهجمات عسكرية متتالية للتكفيرين على مدن ومناطق البلاد المختلفة ، والتي كادت ان تطيح بوحدة هذا البلد ، وبهذا لابد من استجابة قوية جداً أشد وطأة من التحدي نفسه ، وهنا وجد السيد السيستاني حتمية اتخاذ قرار تاريخي مفصلي ينقذ العراق من الهاوية التي كان يتجه اليها، تبلور بإعلان فتوى الجهاد الكفائي [١] ، عبر بيان من سماحته القي في الصحن الحسيني الشريف في خطبة الجمعة من قبل وكيله المتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي بتاريخ١٤ شعبان ١٤٣٥هـ الموافق١٣ /٦/٢٠٢١٤م بعد اجتياح تنظيم داعش الإرهابي لمدن ومناطق غرب العراق .

إذ اشارت هذه الفتوى التاريخية الى الطلب من كل مسلم قادر عراقي عل حمل السلاح أن يتطوع لمواجهة هؤلاء الإرهابيين الكفرة ومنعهم من التجاوز على كل القيم والمبادئ الإسلامية التي تحترم حقوق الإنسان والقيم البشرية والحرية والعدالة الإلهية في كل جوانب الحياة، وعلى أساس هذه الفتوى تطوع كثير من الشيوخ والشباب ورجال الدين فيما أطلق عليه (الحشد الشعبي) أو المتطوعين كما تسميهم المرجعية الدينية ولقد أنقذ متطوعو الحشد الشعبي والقوات المسلحة كافة البلاد والعباد من أعمال العصابات الإرهابية وسلوكها [٢]، وأحبط كل وسائل داعش الإرهابي وأساليبها ، ولقد استمرت توجيهات المرجعية الدينية ولاسيّما ما تؤكد عليه في خطب الجمعة المعروفة والطلب من المتطوعين الجهاديين بالضرب بكل قوة كافة عناصر داعش الإرهابي أينما كانوا وتحرير الأرض والمدن والمناطق من وجودهم على الرغم من الإسناد والدعم المادي والأشخاص من الداخل والخارج الأقليمي والدولي الذي تحصل عليه عصابات داعش ، لكن كل هذا الدعم الهائل للإرهاب لم يقف أمام متطوعي الحشد في مقاومة الإرهاب أينما يكون في العراق ، وبأسناد من الدول المسلمة الشقيقة والصديقة التي ترفض كل ما جاءت به داعش الإرهابي وما تقوم به من تخريب كل شيء.[٣]، ولقد كانت فتوى الجهاد الشهيرة هذه دعوة للوطنية مجردة من أي شعور طائفي ، متجاهلة اللغة التي يمكن ان تخلط بين تنظيم داعش والسنّة [٤] ، إذ فُهمت الفتوى بداية سلبياً في سياق الصراع الطائفي المحتدم في العراق حينها ، والاصطفافات الإقليمية الناجمة عنه، إلاّ إنّه سرعان ما تبدد هذا الوهم بعدما صارت الفتوى اساساً لتعبئة وطنية عراقية اتاحت استعادة المدن والبلدات التي حكمها داعش واسقطت مشروعه السياسي بإقامة دولته المتطرفة، وكان هذا الموقف المرجعي ذي دلالة كبيرة في مسار الدفاع عن وحدة العراق

---

(١) فاضل كاظم صادق، فتوى الجهاد الكفائي وحركة التاريخ عند السيد السيستاني، الكوفة، جامعة الكوفة، مجلة مركز دراسات الكوفة، المجلد٢/العدد٦١/ب،٢٠٢١،ص ١٢٧-١٢٩

(٢) صباح مهدي ،فتوى المرجعية الدينية من تحريم التنباك الى فتوى الجهاد الكفائي ،الجامعة تكريت ، مجلة كلية التربية للبنات ، العدد٢٠ ، السنة الحادية عشر، ٢٠١٧م.

(٣) صباح مهدي، مصدر سابق.

(٤) كارولين مرجي صايغ، المرجعية الدينية – الموقف الوطني في العراق بعد ٢٠٠٣، ترجمة نصر محمد علي ، بيروت، مركز الرافدين للحوار،٢٠٢٠، ص ١٥٧

الوطنية والاجتماعية ، وإيذاناً ببدء مرحلة جديدة في تاريخ العراق السياسي الحديث ، وتحديداً في عمر الدولة الدستورية الجديدة التي سعت المرجعية النجفية لتجذيرها في العراق باعتبارها الخيار الأسلم لإدارة العراق المتنوع اجتماعياً وسياسيا [١].

المبحث الثالث

مرجعية السيد السيستاني : النشأة والقيادة

نستعرض في هذا المبحث مقدمة تمهيدية عن تعريف مؤسسة المرجعية الدينية وموجز عن مراحل نشؤوها وبيان الأدوار التي مرت بها وصولاً للوقت الحالي، ومنها نبذة مختصرة عن حياة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني ودوره في العراق الجديد بعد عام ٢٠٠٣ ومواقفه الوطنية وصون وحدة العراق وشعبه المتنوع، وصولاً الى فتواه التاريخية بالدفاع الكفائي بوجه تنظيم داعش الإرهابي وتحرير الأرض والعرض.

المرجعية الدينية:

تقع السلطة الدينية في المذهب الشيعي بالمعنى التراتبي بيد ما يعرف بالمرجعية ويشير هذا المصطلح الى مجموعة الهيئات الفقهية العليا التي تحوز السلطة الحصرية لتفسير الشريعة الاسلامية، إذ إنه بعد غيبة الامام الثاني عشر الأمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، اتجهت المؤسسة المرجعية_نحو نمط جديد من التركيب القيادي يختلف ذاتياً وهيكلياً عن مرحلة ما قبل الغيبة.

إذ إن القيادة العامة التي كانت منحصرة في شخص الامام المعصوم "عليه السلام" والتي تمثل قيادة عامة تشمل جميع ميادين الحياة، ولا توجد هنا اية مشاركة لموقعه ولا منافسة على مهامه ولا اعتراض على رأيه، لاعتقاد المسلمين الشيعة الامامية بوجود امام واحد متصدٍ في عصره معصوم عن الخطأ وان قوله وفعله حجة لا يمكن الرد عليه [٢]، والتي باتت تمثلها المرجعية الدينية وهي قمة الهرم في تركيبة المؤسسة الدينية.

إذ اسند المجتهدون الشيعة نظرياً سلطتهم الى نصوص دينية ومقولات كلامية – منطقية، تضمنت الإقرار لهم بمنزلة نواب الإمام المعصوم ، أي ان السلطة التي اودعتها كاريزما النبوة والإمامة في المعصوم أصبحت تتجسد جزئياً في المجتهد الجامع للشرائط بوصفها نموذجاً لعملية تنميط الكاريزما، مع اختلاف الفقهاء حول نطاق تلك السلطة [٣].

---

(١) علي عبد السيد المدني وإبراهيم طه العبادي ، علي عبد الهادي المعموري، حوزة النجف في العراق ،عمان، مؤسسة فريدريش، ٢٠٢٣، ص٦٤

(٢) حسين بركة الشامي، المرجعية الدينية من الذات الى المؤسسة، لندن ، مؤسسة دار الإسلام ،١٩٩٨ ، ص٥٢

(٣) حارث حسن الكرعاوي ، المرجعية الدينية الشيعية والفضاء السياسي – الاجتماعي، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، العدد ٣٣/٣٩، ٢٠٢٠،، ص١١٧- ١١٨

هذا وقد انتقلت القيادة كما تقدم الى الفقهاء الذين الزم الامام الغائب شيعته بالرجوع إليهم لسد الفراغ الذي تركته غيبته، فبدأ الناس بالذهاب إليهم ليستفتوهم في شؤونهم التي تخص دينهم ودنياهم باعتبار ان الفقيه الجامع للشرائط هو نائب عن الامام الغائب، إذ ورد عن الامام الحسن العسكري (عليه السلام) قوله:**(فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام ان يقلدوه)** [١].

ومن هنا بدأ التحول الجديد في الجهاز القيادي للمرجعية متبلوراً في نمط جديد لم يكن ممكناً في الفترات السابقة ، وأصبح الفقهاء هم الامتداد الطبيعي لخط الامامة وعلى الناس ان يرجعوا إليهم في شؤون الدين والدنيا، [٢]، إذ بدأت عملية اتصال الفقيه المجتهد بالقواعد الشعبية، المجتهد عبر المبادرة بأرسال وكلاء عنه الى مختلف المناطق ينقلون رأيه في المسائل التي تهم الناس وفتح خطوط التواصل مع المجتمع والتحشيد وتشكيل الرأي العام عند الضرورة، من هنا بدأت ملامح الجهاز المرجعي تتشكل تدريجياً، واستمر تطور دور المرجعية حتى وصل الى مرحلة التمركز والاستقطاب، حيث برزت مرجعيات كبرى غطت مساحات واسعة من العالم الإسلامي منذ مرجعية الشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) (٩٩٥-١٠٥٠م) الى مرجعية السيد السيستاني ٢٠٢٤.

مرجعية السيد السيستاني:

أولا: الولادة والنشأة: هو السيد علي بن العلامة السيد محمد باقر بن السيد علي السيستاني ، ووالدته كريمة العلامة السيد رضا المهرباني السرابي، ولد في اليوم التاسع من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٤٩هـ، الموافق ١٩٣٠م، في مدينة مشهد الإمام الرضا (عليه السلام)"،[٣] و ينحدر من أسرة هاشمية علوية حسينية سكنت أصفهان منذ القرن الحادي عشر الهجري"[٤] وكانت شهرته بالسيستاني نسبةً إلى جده الأعلى السيد محمد الذي شغل مسؤولية (شيخ الإسلام) (*) في مدينة سيستان على عهد السلطان حسين الصفوي (١١٠٥-١١٣٥هـ)[٥].

بدأ سماحته بتعلم القرآن الكريم والقراءة والكتابة وهو في الخامسة من عمره، ثم تدرّج في طلب العلم، فأهتم بالأوليات والمقدمات في دور التعليم الديني، بعدها وجهه والده أوائل عام ١٣٦٠ هـ إلى الحوزة العلمية الرضوية فدرس الفقه

([٢]) محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة-قم المشرفة، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث، ط٢ ،ج٢٧، ١٤١٤ه،، ص ١٣١

([١]) محمد حسين كاشف الغطاء، اصل الشيعة و أصولها ، النجف الأشرف، مؤسسة الامام علي ،١٩٤٥، ص ٦٠

([٢]) الغروي، محمد صالح ، لمحات عن شخصية المرجع الأعلى السيد السيستاني (قم، دار الهدى ، ٢٠٠٣م)،ص ٧١.

([٣]) محمد صادق محمد باقر بحر العلوم . الإمام السيستاني شيخ المرجعية المعاصرة في النجف الأشرف، ط ١ (بيروت: دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٩م)، ٣٣ص.

(*) منصب شيخ الإسلام في الدولة الصفوية: منصب "شيخ الإسلام" في الدولة الصفوية كان أحد المناصب الدينية البارزة في الهيكل الإداري والسياسي للدولة. وكان يشغل هذا المنصب عالمًا كبيرًا، غالبًا ما يكون من علماء الشيعة، وكان له دور هام في الأمور الدينية والقضائية، حيث كان يشرف على تطبيق الشريعة الإسلامية، ويقدم الفتاوى في المسائل الفقهية

(٤) تقع محافظة سيستان جنوب شرقي ايران على الحدود مع كل من افغانستان وباكستان ، وعرفت تاريخياً بأسم سجستان، وتعد ثاني اكبر المدن الايرانية الكبرى من حيث المساحة الجغرافية،إذ تمتد على مساحة ١٧٨,٤٣١ كم مربع بعدد سكان حوالي ٢.٥ مليون نسمة بحسب احصائيات ٢٠١٢م، وتتكون من سبع اقاليم سيستان في الشمال وبلوشستان في الجنوب ، وعاصمتها مدينة زاهدان ، وتبعد ١٦٠٠ كم عن العاصمة طهران،

والأصول واللاهوت و المعارف الإلهية [١] فأخذ علومه من كبار العلماء مثل آية الله الميرزا محمد مهدي الأصفهاني، وآية الله الميرزا مهدي الأشتياني صاحب التعليقة على شرح منظومة السبزواري، وآية الله الميرزا هاشم القزويني.

وبنهاية عام ١٣٦٨هـ انتقل إلى مدينة قم المقدسة ليكون قريباً من حوزتها العلمية، فدرس الفقه والأصول وعلم الرجال والحديث على المرجع الكبير آية الله العظمى السيد حسين الطباطبائي البروجردي، وحضر درس الفقيه العلامة السيد محمد الحجة الكوهكمري، ومن ثم راسل كبار العلماء وناقشهم في أمور علمية دقيقة، منها القبلة، ونال اعجاب العلماء لطريقته في المناقشة التي تعكس علماً غزيراً وموهبة كبيرة [٢] .وفي عام ١٣٧١/١٩٥٢هـ "غادر السيد السيستاني مدينة قم المقدسة متوجهاً إلى النجف الأشرف"[٣]، "آملاً في الاستزادة العلمية من حوزتها"[٤]، وقد سكن في مدرسة البخارائي العلمية "[٥]، وحرص على حضور البحوث الفقهية والأصولية مدة طويلة عند السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي"[٦] ، وآية الله العظمى الشيخ حسين الحلي[٧]، وحضر أيضاً بحوث المرجعين آية الله السيد السيد محسن الحكيم [*] ، وآية الله السيد الشاهرودي"[٨].

ثالثا: – نبوغه العلمي واساتذته:

برز السيد السيستاني في بحوث اساتذته بتفوقٍ بالغ على اقرانهِ وذلك في قوّة الإشكال وسرعة البديهة وكثرة التحقيق والتتبع ومواصلة النشاط العلمي وإلمامه بكثير من النظريات في مختلف الحقول العلمية الحوزوية، وممّا يشهد على

---

(١) حسين محمد علي الفاضلي، الإمام السيستاني أمة في رجل، بيروت، مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٨م)،ص ١٤٨

(٢) منهم السيد علي البهبهاني إمام الأحواز الذي كتب: كتاباً إلى السيد السيستاني يمتدح فيه مهاراته العلمية وقوة حجته في النقاش والتحليل وقد وصفه بـ (عمدة العلماء المحققين ونخبة الفقهاء المدققين ووعده بزيارة قم المقدسة وتكملة الحوار، وكان الكتاب مؤرخاً في ٧/ رجب / ١٣٧٠ هـ.

(٣) عبد الهادي الحكيم، حوزة النجف الأشرف النظام ومشاريع التطوير، د.ط. (بيروت: وحدة الدراسات والنشر، ٢٠١٢م)، ٢٢٧.

(٤) محمد صالح الغروي، مصدر سابق، ١٤٢.

(٥) مكتب آية الله العظمى، نبذة مختصرة عن حياة آية الله العظمى المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله العالي) ١٧، وتقع مدرسة البخارائي في محلة الحويش في مدينة النجف القديمة المجاورة لمرقد امير المؤمنين الإمام علي "عليه السلام"، أسسها محمد يوسف البخارائي وفرغ من بنائها عام ١٣٢٩ه وكان من خواص جان ميرزا من أهالي بخارى الذي كان وزيراً للسلطان عبد الاحد البخاري ،، وهي مدرسة عامرة مشرقة بأنوار اهل العلم ورجال الدين وفيها بعض الكتب الموقوفة على ساكنيها ، وتشتمل على (١٦) غرفة وتقع بجوار مدرسة الآخوند الكبرى. ينظر: عبد الرزاق حرز الدين، تاريخ النجف الأشرف، دار الأضواء، ١٩٨٣، ج١، ص ١١٤،وجعفر باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، النجف الأشرف، بيروت، دار الأضواء، ط٢، ١٩٨٦م.ص ١٣٩

(٦) أحمد الواسطي "سيرة وحياة الإمام الخوئي". مجلة جامعة كربلاء ١٢، العدد. ٢ (٢٠١٤): ١٠٢_١٣١.

وهو أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم الموسوي الخوئي (١٨٩٩-١٩٩٢م)، ولد ليلة ٢٥ رجب عام ١٣١٧ هـ في بلدة (خوي) في بلاد أذربيجان، نشأ مع إخوته ووالده، وأتقن الأوليات من الدراسة، ثم هاجر إلى النجف عام ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م مع أخيه الأكبر السيد عبد الله وبقية أفراد عائلته ليلتحق بأبيه، درس على أعلام النجف ومنهم والده حتى أصبح مرجعاً أعلى للحوزة العلمية في النجف الأشرف، دفن في مسجد الخضراء الملاصق لحرم امير المؤمنين علي بن ابي طالب "عليه السلام" في النجف الاشرف.

(٧) عدنان إبراهيم السراج، السيد محسن الحكيم (١٨٨٩ - ١٩٧٠) ، " مجلة جامعة كربلاء ١٢ ، العدد. ٢ (٢٠١٥): ٦.

(*) السيد محسن الحكيم (١٨٨٩ - ١٩٧٠)، ولد في النجف الأشرف في بيت علم ودين وتقوى، شارك في عمليات الجهاد ضد الغزو البريطاني عام ١٩١٤م، أصبح مرجعاً أعلى للمسلمين الشيعة عام ١٩٥٢م لغاية وفاته ١٩٧٠م.

(٨) محمد حسين علي الصغير، أساطين المرجعية العليا بيروت: مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣ ، ٣٤٤.

ذلك أنه مُنح من بين زملاه واقرانه في عام ١٣٨٠ هـ وهو في الحادية والثلاثين من عمره (شهادة الاجتهاد المطلق) [١] من قبل أستاذيه السيد الخوئي (قدّس سرّه) والشيخ الحلي (قدّس سرّه) ولم يمنح السيد الخوئي شهادة الاجتهاد الإّ لنادرٍ من تلامذته منهم السيد السيستاني وآية الله الشيخ علي الفلسفي من مشاهير علماء مشهد المقدسة ، كما لم يمنح الشيخ الحلي اجازة الاجتهاد المطلق لغيرهِ، وقد كتب له ايضاً شيخ محدّثي عصره العلاّمة الشيخ آغا برزك الطهراني(قدّس سرّه) شهادة يطري فيها على مهارته في علمي الرجال والحديث وهي مؤرخة كذلك في عام ١٣٨٠هـ.[٢]

اشتغل السيد السيستاني من أوائل عام ١٣٨١ هـ بإلقاء محاضراته (البحث الخارج) في الفقه في ضوء مكاسب الشيخ الأعظم الأنصاري، وأعقبه بشرح العروة الوثقى، وابتدأ بإلقاء محاضراته في علم الأصول من شعبان عام (١٣٨٤ هـ)، وقد خرّج بحثه الشريف عدّة من الفضلاء البارزين وبعضهم من أساتذة البحث الخارج، كالعلاّمة الشيخ مهدي مروارید ، والعلاّمة السيد مرتضى المهري والعلاّمة المرحوم السيد حبيب حسينيان والعلاّمة السيد أحمد المددي والعلاّمة الشيخ مصطفى الهرندي والعلاّمة السيد هاشم الهاشمي وغيرهم من أفاضل أساتذة الحوزات العلمية.

بعض مؤلفاته [٣]: (المسائل المنتخبة – ٢. الفقه للمغتربين – ٣. مناسك الحج– ٤. ملحق مناسك الحج، الاجزاء (١–٣): – ٥. المسائل المستحدثة في الحج: جمع وفق فتاوى سماحته دام ظله– ٧. الميسر في الحج والعمرة –٨ توضيح المسائل–٩. الفتاوى الميسرة: جمع وفق فتاوى سماحته دام ظله– ١٠. البحوث الأصولية: دورة أصولية كاملة– ١١. كتاب القضاء– ١٢. كتاب البيع والخيارات– ١٣. رسالة في اللباس المشكوك فيه "– ١٤. ١رسالة في قاعدة اليد–٥. رسالة في صلاة المسافر– ١٦. رسالة في قاعدة التجاوز والفراغ).

دعم المرجعية الدينية للعملية السياسية في العراق بعد عام ٢٠٠٣:

لقد كان للمرجعية الدينية الشيعية في العراق الدور الكبير في مجال الإصلاح السياسي ، بالرغم من تحفظها عن التدخل الواسع بهذا الجانب، وتفرغها للجانب الديني والتربوي والاجتماعي ، ودورها في أن ترشد في الشأن العام ، إلاّ ان المرجعية التي بينت ان دورها بعيد عن السياسة إلاّ في الظروف التي تهدد وحدة البلد واستقراره والسلم الأهلي وتعزيز التعايش الديني واحترام الأقليات في العراق [٤]، إذ يتضح من خلال تأسيس النظام السياسي الجديد بعد عام ٢٠٠٣ ، وعلى الرغم من ان اغلب مراجع النجف الاشرف يؤمنون بالخط التقليدي، الا ان القدر المتيقن في سلوكهم وخصوصاً السيد السيستاني كشف انه ثمة ميلاً نحو خط سياسي جديد لم تعهده الحوزة العلمية في النجف الاشرف من قبل، ويمكن ان يوصف انه قد جمع بين الخط التقليدي في التعامل مع الامور السياسية وامور الدولة

(١) محمد صالح الغروي، مصدر سابق، ١٣٤.
(٢) عبد الهادي الحكيم، مصدر سابق ٢٣٦.
(١) محمد صالح الغروي، مصدر سابق، ص ١١٥
(٤) احمد محمد علي العوادي، دور المرجعية الدينية في عملية الإصلاح في العراق بعد عام ٢٠٠٣م، بغداد، جامعة بغداد ، مجلة العلوم العلوم السياسية ، العدد٥٧، ٢٠١٩، ص٣٩١-٣٩٥

وبين الاقتراب من الخط السياسي الميداني ويلاحظ في ذلك عدة أمور ، أهمها ان مرجعية النجف الاشرف دخلت بثقل كامل في تأييد العملية السياسية، وان هذا الخط اراد تأسيس نظام سياسي وفق دولة مدنية تحترم الاسلام وتحفظ التنوع الديني والاثني وفق مبدأ التعايش، فضلاً عن دعم العملية السياسية ، ومخاطبة القوى الداخلية والإقليمية والدول العربية والمجتمع الدولي من اجل تأسيس نظام سياسي سليم [١]، إذ كانت مواقف المرجع السيستاني واضحة فيما يخص الحرب على العراق في ٢٠٠٣ معلناً عن تحفظه الصريح ورفضه الاحتلال داعياً الى تشكيل لجان تتولى رعاية الشؤون العامة على مستوى المحافظات والاقضية والنواحي، وسحب اي سلطة او شرعية من الاحتلال في ادارة شؤون الناس ، وكان يعمل على تمكين العراقيين في ذلك [٢]، محدداً شكل ومضمون نظام الحكم الذي يجب ان تكون عليه الدولة الذي يعتمد على الشورى والتعددية واحترام حقوق جميع المواطنين، وان الدستور القادم يجب ان يتركز على الثوابت الدينية والمبادئ الاخلاقية والقيم الاجتماعية النبيلة للشعب العراقي، وقناعته بأن الانتخابات هي الطريقة المثلى لتمكين الشعب العراقي من تشكيل حكومة ترعى مصالحه وفي بلد مثل العراق متعدد الاعراق والطوائف وبالرجوع الى صناديق الاقتراع ، وقد اثار تبنى المرجع السيستاني لمبادئ الديمقراطية دهشة الاعلام الغربي من حقيقة ان رجل دين مسلم يبدو اكثر تحمساً للديمقراطية ، من الدولة التي احتلت العراق وبشرت العراقيين بإقامة نظام ديمقراطي قائم على الحرية والمساواة [٣].

المدرسة السيستانية بين المدرستين التقليدية والثورية:

لم يؤطرالسيد السيستاني دعوته الى تشكيل مجلس سياسي منتخب " يضع دستوراً يطابق المصالح العليا للشعب العراقي، ويعبّر عن هويته الوطنية التي من ركائزها الدين الإسلامي الحنيف، والقيم الاجتماعية النبيلة" ، بتأطير ديني أو بالإحالة الى مصادر فقهية ، إذ يرى باحثون من "أن السيد السيستاني قد اقترب في موقفه هذا من محمد حسين النائيني (١٨٦٠-١٩٣٦م) صاحب كتاب (تنبيه الامة وتنزيه الملّة) عام ١٩٠٩م ، الذي الفه في دعم الحركة الدستورية في ايران مطلع القرن العشرين، إذ لم يجعل نظام الدولة الدستورية اسيراً لاشتراطات المدونة الفقهية"، وبغض النظر عن دقة هذه المقاربة، فقد عكس السيد السيستاني موقفاً ميالاً الى الديمقراطية الانتخابية ، ويبدو انه قد حاول ان يطوّر طريقاً ثالثة بين (الخوئية) و(الخمينية)، لايحكمها الاعتزال التقليدي الصارم ، ولا الانغماس الإيديولوجي المسيّس، فكانت " السيستانية" نموذجاً مغايراً يمكن فهمه من الممارسة ، وليس من التنظير المكتوب ، ولقد احتفظت السلطة الدينية للسيستاني بطابعها التقليدي عبر الوطني ، بينما أصبح لحضورها في الفضاء العام العراقي طابع وطني[٤].

---

(٢) فسر ريدار، شيعة العراق، جذور الحركة الفيدرالية، معهد الدراسات الفيدرالية، ط١. ٢٠٠٧، بغداد-أربيل-بيروت ص٣٠

(٣) سامي البغدادي، مبادئ الدولة و القيادة لدى مراجع الحوزة العلمية، مطبعة البينة،النجف الاشرف٢٠٠٦،ص١١٩

(٣) محمد صادق الهاشمي وجمعة العطواني، شيعة العراق مصادر القوى و التحديات دراسة ابرز التحولات السياسية لشيعة العراق بعد ٢٠٠٣. مطبعة الساقي ط١، ٢٠١٤ص٥٢.

(٤) ينظر : - حارث حسن ،مصدر سابق، ص١٣٠- ١٣١

إذ " ربط المرجع السيستاني شرعية الحكومة بعد ٢٠٠٣ في موضوعة الانتخابات ويرى ان لاشرعية لأي حكومة الا ان تكون منبعثة من ارادة الشعب العراقي بجميع طوائفه واعراقه، محملاً منذ البداية مسؤولية انهيار مقومات الدولة العراقية وانعدام الامن والاستقرار لقوات الاحتلال ، محدداً رؤيته بتشكيل النظام السياسي الجديد بشكل واضح من خلال رسالته الى ممثل الامين العام للأمم المتحدة (الاخضر الابراهيمي) والتي جاءت رداً على الخطة الامريكية لإدارة الدولة حيث مثلت تلك الرؤيا خارطة الطريق المرحلة ما بعد التغيير [١].

- **كتابة دستور جمهورية العراق سنة ٢٠٠٥**

كان الامريكان يعدون دستوراً للعراق بدون اعطاء أي دور ما للعراقيين ، لذا أكد السيد السيستاني بأن الدستور يجب ان يكتب بأيد عراقية منتخبة واي سلطة لقوات الاحتلال في ذلك غير مقبولة ، ولوحظ ان السيستاني كشخصية حكيمة ومتابع "للأمور ولديه جمهور منضبط اصر على انه سيصدر فتوى بعدم شرعية اي دستور ، إلا ان يكتب بأيد عراقية منتخبة[٢]، كما ويحاجج المرجع السيستاني الامم المتحدة والمعترضين على اجراء انتخابات عراقية ، بأن تجربة (تيمور الشرقية) قد نجحت وتم اجراء انتخابات فيها بأشراف الامم المتحدة ، فلم لا يكون ذلك في العراق ايضاً، وبهذا مثلت فتوى المرجع السيستاني الخاصة بكتابة الدستور والتي يطلق عليها " الفتوى الدستورية" حجر الاساس ونقطة البداية لتكوين وتأسيس النظام السياسي بعد ٢٠٠٣ ، وحدد المرجع اسس وألية كتابة ذلك الدستور بنقاط يمكن ان نوجزها كما يأتي :[٣] برفضه المطلق لأي دستور وخاصة قانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقالية، وضرورة اجراء انتخابات عامة لكي يختار كل عراقي مؤهل للانتخاب من يمثله في مجلس تأسيسي لكتابة الدستور، ومن ثم طرح مشروع الدستور للتصويت العام الذي يقره المجلس المنتخب، وعلى المؤمنين التعبير عن مطالبتهم بأن يكون هناك دستور يكتب بأيدي عراقية منتخبة.، مؤكداً على ان لا تتمتع اي سلطة وان كانت الاحتلال او غيرها من كتابة دستور او تعيين افراد لكتابته، وفقط العراقيين هم من يقررون ذلك من خلال الانتخابات، ومن ثم فقد رفض السيد السيستاني ايضاً بشكل مطلق ان يكون لمجلس الحكم دور في كتابة الدستور لانهم جهة غير منتخبة وغير شرعية وشرط من يكتب الدستور ان يكون منتخب وممثل لجميع مكونات الشعب

- عبد الجبار الرفاعي، مفهوم الدولة في مدرسة النجف، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية، الرباط، ص ٣٢-٣٤
- حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن السيد السيستاني في المسألة العراقية، بيروت، دار المؤرخ العربي، ط٦، ٢٠١٥، ص٣٥

([١]) جودت القزويني، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الامامية **دراسة** في تطوير السياسي و العلمي، دار الرافدين للطباعة و النشر، بيروت،ط١ ٢٠٠٥،ص٧٨

([٢]) رعد حسن، أقتباسات من تاريخ العراق السياسية ١٩١٤-٢٠١٤بغداد، دار انكي للنشر، ٢٠١٩ ، ٧٥

([٣]) مجموعة باحثين مأزق الدستور - نقد وتحليل - الفرات للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٦ ، ص ١٣.

العراقي" [١]، وهو بذلك يعطي زخماً كبيراً لسيادة وولاية الامة على نفسها مما اعطى انطباعاً عن مدى مرونة وحيوية المرجعية الدينية [٢].

- **إسهامات المرجعية الدينية في ترشيد العملية السياسية:**

ان المتتبع لطروحات المرجع السيستاني يرى بوضوح انها تدعو الى ترشيد واصلاح ممنهج وفق الاطر الاسلامية والقانونية، وقد برز دور المرجعية الدينية في حفظ وترشيد العملية السياسية من خلال:

أ. خطب الجمعة:

تعد خطب الجمعة للمسلمين عاملاً اتصالياً واعلامياً مهماً على الصعيد النفسي والتوجيهي والتنبيه والتذكير على المستوى الديني والسياسي ، وقد مثلت خطب الجمعة في كربلاء المقدسة الرؤية الشاملة والدقيقة للأحداث وبنسق منظم وفاعل ولعل مخرجاتها اصبحت دستوراً ومنهج عمل اسبوعي للمعنيين في ادارة شؤون البلد ، ومحلاً لاهتمام الحكومة ومجلس النواب والقوى السياسية، فضلاً عن مراكز الابحاث والاعلام المحلية والدولية،[٣] اذ برزت اهم المشاكل والاحداث التي أثرت على مجمل العملية السياسية وأدت الى انحرافات في مساراتها ، وابرزها (الطائفية السياسية، التعددية الحزبية السلبية ، المحاصصة ، التدخلات الخارجية)، مما استوجب القاء الضوء عليها من قبل المرجعية وطرح الحلول الناجعة والمعالجات لها.

ب:- اسهامات المرجعية الدينية في اصلاح العملية الانتخابية

اوضحت المرجعية الدينية موقفها من القانون الانتخابي قبيل انتخابات ٢٠١٤ ، إذ اكدت المرجعية على العمل لخلق وعي سياسي انتخابي لدى عامة الجمهور العراقي وتعاملت بحكمة كبيرة وسخرت امكانياتها الثقافية والعلمية والاعلامية من اجل الانتقال التدريجي بالوعي الجمعي لدى المواطن العراقي[٤]

المبحث الرابع

نصائح وتوجيهات سماحة المرجع الديني الاعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)، للمقاتلين بمواجهة تنظيم داعش الإرهابي

ابتدأ سماحة السيد السيستاني وصاياه للمقاتلين بمواجهة تنظيم داعش الإرهابي بالموعظة البالغة والتذكرة النافعة المستمدة من منهج اهل البيت "عليهم السلام" في مجالات حقوق الانسان خلال الحروب والأزمات، اذ شرع سماحته بنصائحه وتوصياته مستشهداً بوصايا النبي مُحَمّد "صلى الله عليه وآله" برواية الإمام جعفر الصادق "عليه السلام" انه قال: «كان رسول الله – صلى الله عليه وآله «، إذا أراد أن يبعث بسرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول: (

---

(١) السيد علي السيستاني بيان من مكتبه في النجف الاشرف ١٩ / جمادي الاول / ١٤٢٤هـ .

(٢) جهاد الاسدي ، قراءة في موقف المرجع من الوضع السياسي والانتخابات، الهيئة العلمية لمؤسسة شهيد المحراب، ط١، ٢٠١٣ ، النجف الأشرف ، ص ٢٢

(٣) حسين بركة الشامي ، مصدر سابق ، ص ٦٢

(٤) مجموعة باحثين مأزق الدستور – مصدر سابق ، ص ١٣

سيروا باسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ : لا تغلوا، ولا تمثّلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها)[١] ،

ومن ثم أورد السيد السيستاني وصاياه المتعلقة بتطبيق منهج اهل البيت "عليهم السلام" بحفظ حقوق الانسان واحترامها خلال الحروب والأزمات بعدد من النقاط الرئيسة، التي تم اختصارها كما يأتي[٢]:

١. **بيان قواعد القتال مع البغاة والمحاربين من المسلمين واضرابهم:** التأسي بمواقف الإمام علي "عليه السلام" ، مما جرت عليه سيرته وأوصى به أصحابه في خطبه وأقواله، مبيناً قوله (عليه السلام) في بعض كلامه مؤكداً لما ورد عن النبي"صلى الله عليه وآله" في حديث الثقلين والغدير وغيرهما –: **(انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدُوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتاخروا عنهم فتهلكوا)**[٣].

٢ . **عدم التعرض للنفوس بغير ما احله الله تعالى:** الاستشهاد ببعض نصوص عهد امير المؤمنين الامام علي " عليه السلام" لمالك الأشتر عن الاحتياط في الدماء والنفوس البريئة **(إياك والدماء وسفكها بغير حلّها فإنّه ليس شيء ادعى لنقمة واعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدأ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، ، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لان فيه قود البدن)** ، وعن الامام علي (عليه السلام) قال **(فإن وجدتم حالة مشتبهة تخشون فيها المكيدة بكم، فقدموا التحذير بالقول أو بالرمي الذي لا يصيب الهدف أو لا يؤدي إلى الهلاك، معذرةً إلى ربكم واحتياطاً على النفوس البريئة)**[٤] .

٣.**مراعاة الحرمات والمستضعفين من الشيوخ والولدان والنساء من عوائل المحاربين البغاة:** مستشهداً بسيرة وقول أمير المؤمنين "عليه السلام: **(حاربنا الرجال فحاربناهم، فأما النساء والذراري فلا سبيل لنا عليهم لأنهن مسلمات وفي دار هجرة، فليس لكم عليهن سبيل، فأما ما أجلبوا عليكم واستعانوا به على حربكم وضمه عسكرهم وحواه فهو لكم، وما كان في دورهم فهو ميراث على فرائض الله تعالى لذراريهم، وليس لكم عليهن ولا على الذراري من سبيل)** .[٥]

---

(١) ابو جعفر بن يعقوب الكليني ، الكافي، باب الجهاد ،قم، دار الكتب الاسلامية ، ١٩٨٣ م،رقم الحديث ٦٠٠،ص٥٠

(٢) بنظر:

- السيد علي السستاني، نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات المعارك ،مكتب السيد السيستاني ،الندف الاشرف، الموقع الرسمي ٢٠١٤ https://www.sistani.org/arabic/archive/25034/
- حسين البدري، نصائح وتوجيهات سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني، النجف الأشرف، مركز فجر عاشوراء الثقافي-العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠٢٠،ص٣٤-٥١

(٣) ابو جعفر بن يعقوب الكليني ، الكافي ، باب فضائل اهل البيت ، قم، دار الكتب الاسلامية، ٩١٧ ،ج٢، ص٢٨٠

(٤) الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، بيروت ، دار الاحياء التراث العربي ،١٩٨٥ ، ص٥٣

(٥) المصدر نفسه ، ص٤٥

٤.**عدم اتهام الناس في دينهم نكاية بهم واستباحةً لحرماتهم:** مستشهداً بقول وتعالى الله سبحانه مخاطباً المجاهدين: (يا أيّها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا ، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا)، مؤكداً بأنه قد استفاضت الآثار عن أمير المؤمنين (عليه السلام) نهيه عن تكفير عامّة أهل حربه . كما كان يميل إليه طلائع الخوارج في معسكره ـ بل كان يقول انهم قوم وقعوا في الشبهة، وإن لم يبرّر ذلك صنيعهم ولم يصح عُذراً لهم في قبيح فعالهم ، ففي الأثر المعتبر عن الامام جعفر الصادق عن ابيه (عليهما السلام): **(أنّ علياً (عليه السلام) لم يكن ينسب أحداً من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق ولكن يقول: هم اخواننا بغوا علينا)، (وكان يقول لأهل حربه: إنا لم نقاتلهم على التكفير لهم ولم نقاتلهم على التكفير لنا).**

٥. **عدم التعرّض لغير المسلمين أيّاً كان دينه ومذهبه:** إنّهم في كنف المسلمين وأمانهم، فمن تعرّض لحرماتهم كان خائناً غادراً، وإنّ الخيانة والغدر لهي أقبح الأفعال في قضاء الفطرة ودين الله سبحانه، وقد قال عزّ وجلّ في كتابه عن غير المسلمين (لَّا يَنهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَم يُقَٰتِلُوكُم فِي ٱلدِّينِ وَلَم يُخرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُم أَن تَبَرُّوهُم وَتُقسِطُوٓاْ إِلَيهِم إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلمُقسِطِينَ ٨) .

بل لا ينبغي ان يسمح المسلمُ بانتهاك حرُمات غير المسلمين ممّن هم في رعاية المسلمين، بل عليه أن تكون له من الغيرة عليهم مثل ما يكون له على أهله، وقد جاء في سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه لما بعثَ معاوية احد ازلامه (سفيان بن عوف من بني غامد) لشن الغارات على أطراف العراق . تهويلاً على أهله . فأصاب أهل الأنبار من المسلمين وغيرهم، اغتمّ أمير المؤمنين (عليه السلام) من ذلك غمّاً شديداً ، وقال في خطبةٍ له: (**وهذا أخو غامد قد وردت خيله الانبار وقد قتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها ، ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبَها وقلائدها ورعاثها**[١] **، ما تمتنع منه إلاّ بالاسترجاع والاسترحام ، ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجلاً منهم كلم ، ولا أريق لهم دم، فلو أنّ امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً**)[٢]

٦. **حرمة أموال الناس:** لا يحل مال امرئ مسلم لغيره إلاّ بطيب نفسه ، فمن استولى على مال غيره غصباً فإنّما حاز قطعة من قطع النيران، وقد قال الله سبحانه : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنّما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً)[٣]. وفي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) إنه قال: **(من اقتطع مال مؤمن غصباً**

---

(١) الشريف الرضي ، مصدر سابق، ص٧٠

(٢) السيد علي السستاني، نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات المعارك ،مكتب السيد السيستاني ،الندف الاشرف، الموقع الرسمي ٢٠١٤ https://www.sistani.org/arabic/archive/25034/

(٣) سورة النساء /١٠

بغير حقه لم يزل الله معرضاً عنه ماقتاً لأعماله التي يعملها من البرّ والخير لا يثبتها في حسناته حتى يتوب ويردّ المال الذي أخذه إلى صاحبه)[١].

وجاء في سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه نهى أن يُستحلّ من أموال من حاربه إلاّ ما وجد معهم وفي عسكرهم ، ومن أقام الحجّة على أن ما وجد معهم فهو من ماله أعطى المال إيّاه، ففي الحديث عن مروان بن الحكم قال : (لمّا هَزَمنا عليٌ بالبصرة ردّ على الناس أموالهم من أقام بيّنة أعطاه ومن لم يقم بيّنةٍ أحلفه)[٢]

٧. **عدم هتك الحرمات والتعرّض لها أو انتهاك شيء منها بلسان أو يد :** حذر السيد السيستاني من أخذ امرئ بذنب غيره، مستشهداً بقوله تعالى: **سمح** ولا تزر وازرة وزر أخرى **سجى** [٣] ،موصياً في الوقت ذاته المقاتلين بأن لا يأخذوا بالظنّة وتشبهوه على أنفسكم بالحزم ، فإنّ الحزم احتياط المرء في أمره، والظنّة اعتداء على الغير بغير حجّة، ولا يحملنّكم بغض من تكرهونه على تجاوز حرماته كما قال الله سبحانه **سمح** ولاا يجرمنّكم شنآن قومٍ على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى **سجى**[٤] .

مذكراً بما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال في خطبة له في وقعة صفّين في جملة وصاياه : **(ولا تمثّلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلاّ ما وجدتم في عسكرهم ، ولا تهيجوا امرأة بأذىً وان شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم وصلحاءكم)**[٥] ، وقد ورد أنه (عليه السلام) في حرب الجمل ـ وقد انتهت ـ وصل إلى دار عظيمة فاستفتح ففُتحت له، فإذا هو بنساءٍ يبكين بفناء الدار، فلمّا نظرن إليه صحن صيحة واحدة وقلن هذا قاتل الأحبّة، فلم يقل شيئاً، وقال بعد ذلك لبعض من كان معه مشيراً إلى حجرات كان فيها بعض رؤوس من حاربه وحرّض عليه كمروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير(لو قتلت الأحبة لقتلت من في هذه الحجرة)[٦].

٨. **عدم منع حقوق المبغضين غير المقاتلين:** مستشهداً بما جاء في سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه جعل لأهل الخلاف عليه ما لسائر المسلمين ما لم يحاربوه، ولم يبدأهم بالحرب حتّى يكونوا هم المبتدئين بالاعتداء.

٩. **حسن التصرف والنصح لم وقع في الشبهات:** أوصى السيد السيستاني المقاتلين بأنّ أكثر من يقاتلكم إنّما وقع في الشبهة بتضليل آخرين، فلا تعينوا هؤلاء المضلّين بما يوجب قوّة الشبهة في أذهان الناس حتّى ينقلبوا أنصاراً لهم، بل ادرؤوها بحسن تصرّفكم ونصحكم واخذكم بالعدل والصفح في موضعه، وتجنب الظلم والإساءة والعدوان، فإنّ من درأ شبهة عن ذهن امرئ فكأنّه أحياه، ومن أوقع امرئ في شبهة من غير عذر فكأنه قتله.

---

(١) أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، مصدر سابق، ، رقم الحديث٨٣ ص٢٨٠
(٢) المصر نفسه ص٢٨٠
(٣) سورة فاطر / ١٨
(٤) سورة المائدة / ٨
(٥)) الشريف الرضي ، مصدر سابق ،ص٥٥
(٦) أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، مصدر سابق، ج٢، رقم الحديث ٢٥٠ ص٣٢٠

موكداً بأن من سيرة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) عنايتهم برفع الشبهة عمّن يقاتلهم، حتّى إذا لم تُرج الاستجابة منهم، مع**ذرة منهم إلى الله، وتربيةً للأمة ورعايةً لعواقب الأمور، ودفعاً للضغائن لاسيّما من الأجيال اللاحقة،** وقد جاء في بعض الحديث عن الصادق (عليه السلام) أنّ الامام عليّاً (عليه السلام) في يوم البصرة لما صلا الخيول قال لأصحابه: **(لا تعجلوا على القوم حتّى أعذر فيما بيني وبين الله وبينهم ، فقام اليهم، فقال : يا أهل البصرة هل تجدون عليّ جورة في الحكم؟ قالوا : لا ، قال : فحيفاً في قسم ؟ قالوا : لا . قال : فرغبة في دنيا أصبتها لي ولأهل بيتي دونكم فنقمتم عليّ فنكثتم بيعتي ؟ قالوا : لا ، قال فاقمت فيكم الحدود وعطّلتها عن غيركم؟ قالوا : لا)**[١]

١٠. **الترفع عن الظلم والجور ومعالجة الأمور بالعدل:** أوصى السيد السيستاني المقاتلين بأنه لا يظنّن أحدٌ أن في الجور علاجاً لما لا يتعالج بالعدل، إنّ ذلك ينشأُ عن ملاحظة بعض الوقائع بنظرة عاجلة إليها من غير انتباه إلى عواقب الأمور ونتائجها في المدى المتوسط والبعيد، ولا إطّلاع على سنن الحياة وتاريخ الأمم ، حيث ينبّه ذلك على عظيم ما يخلفه الظلم من شحنٍ للنفوس ومشاعر العداء مما يهدّ المجتمع هدّاً، وقد ورد في الأثر: **(أنّ من ضاق به العدل فإنّ الظلم به أضيق).**

١١. **التوصية بالتثبّت وضبط النفس وإتمام الحجّة:** أهمية رعاية للموازين والقيم النبيلة ، ولو ان فيها بعض الخسارة العاجلة أحياناً ، فإنّه أكثر بركة وأحمد عاقبة وأرجى نتاجاً، وفي سيرة الأئمة من آل البيت (عليهم السلام) أمثلة كثيرة من هذا المعنى، حتّى أنهم كانوا لا يبدؤون أهل حربهم بالقتال حتى يبدؤوا هم بالقتال وإن أصابوا بعض أصحابهم ، ففي الحديث أنه لما كان يوم الجمل وبرز الناس بعضهم لبعض نادى منادى أمير المؤمنين (عليه السلام) : **(لا يبدأ أحدٌ منكم بقتالٍ حتّى آمركم)** [٢]، قال بعض أصحابه: فرموا فينا، فقلنا يا أمير المؤمنين: قد رُمينا ، فقال: (كفّوا) ، ثم رمونا فقتلوا منّا ، قلنا يا أمير المؤمنين : قد قتلونا، فقال : **(احملوا على بركة الله)، وكذلك فعل الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء.**

١٢. **النصح للناس والمدنيين في مواقع ومدن القتال والشفقة عليهم:** أوصى السيد السيستاني المقاتلين بأن يكونوا لمن قِبَلكه من الناس حماة ناصحين حتى يأمنوا جانبكم ويعينوكم على عدوّكم ، بل أعينوا ضعفاءهم ما استطعتم، فإنّهم إخوانكم وأهاليكم، واشفقوا عليهم فيما تشفقون في مثله على ذويكم، واعلموا أنّكم بعين الله سبحانه، يحصي أفعالكم ويعلم نياتكم ويختبر احوالكم.

١٣. **ضرورة الاهتمام بالصلاة :**، موصياً المقاتلين للالتزام بها بحسب ، موضحاً بأن الله سبحانه وتعالى قد خففها بحسب مقتضيات الخوف والقتال، حتى قد يكتفى في حال الانشغال في طول الوقت بالقتال بالتكبيرة عن كل ركعة

---

(١) الشريف الرضي، مصدر سابق،ص٩٨

(٢) المصدر نفسه، ص، ٢٠٧

ولو لم يكن المرء مستقبلاً للقبلة كما قال عزّ من قائل : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ، فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً ، فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علّمكم ما لم تكونوا تعلمون)[١]

على أنه سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بأن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم ولا يجتمعوا للصلاة جميعاً بل يتناوبوا فيها حيطةً لهم. وقد ورد في سيرة أمير المؤمنين وصيته بالصلاة لأصحابه، وفي الخبر المعتبر عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال في صلاة الخوف عند المطاردة والمناوشة: **(يصلّي كل إنسان منهم بالإيماء حيث كان وجهه وإن كانت المسايفة والمعانقة وتلاحم القتال)**[٢] ، **فإنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) صلى ليلة صفّين . وهي ليلة الهرير . لم تكن صلاتهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء . عند وقت كل صلاة . إلاّ التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد والدعاء، فكانت تلك صلاتهم، لم يأمرهم بإعادة الصلاة).**

١٤.**الالتزام بالآداب الروحية والمعنوية:** موصياً المقاتلين بكثرة ذكر الله سبحانه وتلاوة كتابه واذكروا لقاءكم به ومنقلبكم اليه، مذكراً بأنه قد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام انه بلغ من محافظته على وِرده أنه يُبسط له نطعٌ بين الصفين ليلة الهرير فيصلّي عليه وِرده، والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يميناً وشمالاً فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته.

١٥.**التأدب بخلق وسيرة النبي الأعظم واهل بيته "صلوات الله عليهم"**: موصياً المقاتلين بان تحرصوا أعانكم الله على أن تعملوا بخُلُق النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) مع الآخرين في الحرب والسلم جميعاً، حتّى تكونوا للإسلام زيناً ولقيمه مَثَلاً ،مستشهداً بقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (**فبعث الله فيهم رسله وواتر انبياءه اليهم ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكّرهم منسيّ نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول)**[٣].

١٦.**عدم التسرّع في مواقع الحذر والتصرف بوعي وحكمة:** موصياً المقاتلين بأنه بخلافها تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة، فإنّ أكثر ما يراهن عليه عدوّكم هو استرسالكم في مواقع الحذر بغير تروٍّ واندفاعكم من غير تحوّط ومهنيّة، واهتموا بتنظيم صفوفكم والتنسيق بين خطواتكم ، ولا تتعجّلوا في خطوةٍ قبل إنضاجها وإحكامها وتوفير ادواتها و مقتضياتها وضمان الثبات عليها والتمسك بنتائجها، مستشهداً بقول الله سبحانه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا) [٤]، وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ)[٥] ، شاداً من عزم المقاتلين بقوله كونوا أشدّاء فوق ما تجدونه من أعدائكم فإنكم أولى بالحق منهم ، وإن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون.

---

(١) سورة البقرة / ٢٣٨
(٢) ابن أعثم الكوفي ،الفتوح ،دمشق ، دار الفكر ،١٩٨٤ص،٨٨
(٣) الشريف الرضي ، مصدر سابق، ص، ٣٤
(٤) سورة النساء / ٧١
(٥) سورة الصف / ٤

١٧.**توصية المدنيين وعوائل المناطق المحررة بتقدير تضحيات المقاتلين:** أوصى السيد السيستاني المقاتلين بأنه ينبغي لمن قِبَلكم من الناس ممّن يتترس بهم عدوّكم أن يكونوا ناصحين لحماتهم يقدّرون تضحياتهم ويبعدون الأذى عنهم ولا يثيرون الظنة بأنفسهم، فإنّ الله سبحانه لم يجعل لأحدٍ على آخر حقّاً إلاّ وجعل لذاك عليه حقّاً مثله، فلكلٍّ مثل ما عليه بالمعروف.

١٨.**عدم التقاطع والتعصب الحزبي والسياسي بين المقاتلين ووحدة صفوفهم:** أوصى المقاتلين بقوله اعلموا أنكم لا تجدون أنصح من بعضكم لبعض إذا تصافيتم واجتمعتم فيما بينكم بالمعروف حتى وان اقتضى الصفح والتجاوز عن بعض الأخطاء بل الخطايا وإن كانت جليلة، فمن ظنّ غريباً أنصح له من أهله وعشيرته وأهل بلده ووالاه من دونهم فقد توهّم، ومن جرّب من الأمور ما جُرّبت من قبل أوجبت له الندامة. وليعلم أن البادئ بالصفح له من الاجر مع أجر صفحه أجر كل ما يتبعه من صفح وخير وسداد، ولن يضيع ذلك عند الله سبحانه، بل يوفيه إيّاه عند الحاجة إليه في ظلمات البرزخ وعرصات القيامة. ومن أعان حامياً من حماة المسلمين أو خلفه في أهله وأعانه على أمر عائلته كان له من الأجر مثل أجر من جاهد.

١٩.**نبذ العصبيات الذميمة والتمسك بمكارم الأخلاق:** فإنّ الله جعل الناس أقواماً وشعوباً ليتعارفوا ويتبادلوا المنافع ويكون بعضهم عوناً للبعض الآخر، فلا تغلبنّكم الأفكار الضيقة والانانيات الشخصيّة، وقد علمتم ما حلّ بكم وبعامّة المسلمين في سائر بلادهم حتّى أصبحت طاقاتهم وقواهم وأموالهم وثرواتهم تُهدر في ضرب بعضهم لبعض، بدلاً من استثمارها في مجال تطوير العلوم وتنمية النعم وصلاح أحوال الناس.[١]

الاستنتاجات: بعد الانتهاء من البحث وبيان مباحثة الرئيسة ومطالبه الفرعية، توصلت الباحثة للاستنتاجات الآتية:

١. تمتاز المؤسسة الدينية بالعمق التاريخي والتراثي الذي يمتد الى أكثر من ألف عام، هو ما أعطاها الكثير من مصادر القوة والمران على الفعل والاستجابة للأوضاع العامة والتقلبات السياسية والاجتماعية التي تحصل في العراق والعالم الإسلامي.

٢. يمثل اندلاع الحرب العالمية الأولى مرحلة جديدة في تزايد النشاط السياسي للمرجعية الدينية لمواجهة المشاريع الاستعمارية في العراق والمنطقة بشكل عام، وعلى الرغم من السياسة العثمانية الظالمة للمرجعية الدينية ودورها السياسي والاجتماعي، إلا ان المرجعية الدينية قررت إسناد العثمانيين في مواجهة الغزاة البريطانيين كونه خطرا يهدد جميع المسلمين مما مثل موقفا دينيا أخلاقيا وسياسيا مسؤولا.

٣.ان الواقع الذي فرضه الاحتلال البريطاني على العراق، ولد الشعور بالمسؤولية لدى علماء المرجعية الدينية، نتيجة لخطورة الموقف الذي بات يهدد أمن وسلامة العراق، إذ بدأت بوادر التفكير الجدي في ترتيب وبناء الصف

---

(١) السيد علي السيستاني، نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات المعارك ،مكتب السيد السيستاني ،الندف الاشرف، الموقع الرسمي ٢٠١٤ https://www.sistani.org/arabic/archive/25034/

الإسلامي في إطار العمل المنظم الذي يجعل المقاومة ضد المحتلين البريطانيين بأساليب مختلفة، فكانت مقاومة الاحتلال ومن ثم اعلان ثورة العشرين.

٤.الواضح من رؤية وطروحات المرجع السيستاني انه يسعى لمجتمع ديني وليس لدولة دينية، والى بناء دولة مؤسسات وليس بناء سلطة، إذ يخاطب العراقيين بالمواطنين عامة، فضلاً عن طروحاته بنظام سياسي عادل يخدم الشعب على أساس المواطنة والمساواة بين ابناء الشعب العراقي كافة بدون أي تمييز ما.

٥.طرحت مرجعية السيد السيستاني نموذجاً جديداً في تاريخ المرجعيات الدينية بين المدرستين التقليدية المحافظة، والراديكالية المواجهة.

٦. مثلت وصايا السيد السيستاني للمقاتلين بمواجهة تنظيم داعش الإرهابي، امتداداً لوصايا النبي "صلى الله عليه وآله" والامام على "عليه السلام" بقتالهم على التنزيل والتأويل مما أسهم برفع الروح المعنوية ومخالطة هذه الوصايا مع عاملي الموالاة والتقليد المرتكز في نفوس المقاتلين.

٧. طرحت وصايا السيد السيستاني للمقاتلين نموذجاً سامياً لأخلاقيات الحروب وقواعد الاشتباك وضمان حقوق الانسان في الحروب والأزمات وفق منهج اهل البيت(عليهم السلام" وتجنيب المدنيين مآسيها وآثارها.

٨. بينت وصايا السيد السيستاني للمقاتلين الحرص على حقوق الانسان وحرمة الدماء وصيانة الممتلكات العامة والخاصة وعدم التعدي، وتقديم الحكمة والصبر والتروي على الانفعال والتعجل.

٩. اكتنزت هذه الوصايا ابعاداً فكرية عقائدية، والدعوة الى تفعيل العمل الإعلامي للتوعية ورفع الشبهات والتشجيع على تحصين الوحدة الوطنية ونبذ الفرقة والطائفية.

المصادر:

- **القرآن الكريم.**

١. ابن اثير الجرزي ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق ، علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م،

٢. ابن أكثم الكوفي ،الفتوح ،دمشق ، دار الفكر ،١٩٨٤

٣. أبو الفرج علي بن إبراهيم نور الدين الحلبي، السيرة الحلبية ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت،٢٠٠٦م.

٤. ابو جعفر بن يعقوب الكليني ، الكافي، باب الجهاد ،قم، دار الكتب الاسلامية ، ١٩٩٧ م،

٥. أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الشمائل المحمدية، تحقيق سيد بن عباس ، مكة المكرمة ، المكتبة التجارية ،١٩٩٣م

٦. احمد بن اسحاق اليعقوبي،تاريخ اليعقوبي ، بيروت ، دار الاجيال ، ١٩٦٠

٧. أحمد بن الحسين بن علي البهيقي ، السنن الكبرى ، تحقيق ، محمد عبد القادر عطا ، بيروت ،، دار الكتب العلمية،ط٣، ٢٠٠٣م
٨. احمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ،تحقيق ،محمد فؤاد عبد الباقي بيروت ،دار المعرفة ، ١٩٩٥م.
٩. احمد بن يحيى البلاذري ، أنساب الأشراف ، تحقيق سهيل زكار و رياض الزركلي ، بيروت، ، ، دار الفكر ١٩٩٦،
١٠. احمد بن يحيى البلاذري ،فتوح البلدان ، بيروت دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م،
١١. احمد عبد الله ابو زيد العاملي ، محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧م،
١٢. اخلاص حريز الكعبي المرجعية الدينية في العراق ودورها السياسي، بغداد، دار الشؤن الثقافية ، ٢٠٠٣،
١٣. الامام علي بن الحسين زين العابدين(عليه السلام)، دعاء لأهل الثغور الصحيفة السجادية ، قم، دار الكتب الاسلامية،١٩٢٥م
١٤. بحر العلوم، محمد صادق محمد باقر، الإمام السيستاني شيخ المرجعية المعاصرة في النجف الأشرف، ط ١ (بيروت: دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٩م
١٥. جعفر باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، النجف الأشرف، بيروت، دار الأضواء، ط٢، ١٩٨٦م. ص ١٣٩ جهاد الاسدي ، قراءة في موقف المرجع من الوضع السياسي والانتخابات، النجف الاشرف، الهيئة العلمية لمؤسسة شهيد المحراب، ط١، ٢٠١٣
١٦. جعفر بن الشيخ خضر الجناحي كاشف الغطاء، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء– تحقيق مكتب الاعلام الإسلامي – فرع خراسان الرضوي، قم المقدسة، مؤسسة بوستان كتاب،ج٤، ٢٠٠٠م،
١٧. جودت القزويني، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الامامية دراسة في تطوير السياسي و العلمي، دار الرافدين للطباعة و النشر، بيروت، ٢٠٠٥،
١٨. الحارث بن ابي سلمى، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، تحقيق ، حسين أحمد صالح الباكري ،المدينة المنورة ، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية ، ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م
١٩. حارث حسن الكرعاوي ، المرجعية الدينية الشيعية والفضاء السياسي – الاجتماعي، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، العدد ٣٣/٣٩، ٢٠٢٠،
٢٠. حازم صاغية، صراع السلام والبترول في إيران، ط ١ ، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨م

٢١. حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن السيد السيستاني في المسألة العراقية، بيروت، دار المؤرخ العربي، ط٦، ٢٠١٥،
٢٢. حسين البدري، نصائح وتوجيهات سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني، النجف الأشرف، مركز فجر عاشوراء الثقافي–العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠٢٠،
٢٣. حسين بركة الشامي، المرجعية الدينية من الذات الى المؤسسة، لندن ، مؤسسة دار الإسلام ،١٩٩٨
٢٤. حسين محمد علي الفاضلي الإمام السيستاني أمة في رجل، بيروت، مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٨م)،ص ١٤٨
٢٥. رعد حسن الحيدري، أقتباسات من تاريخ العراق السياسية ١٩١٤–٢٠١٤، بغداد، دار انكي للنشر، ٢٠١٩
٢٦. سامي البغدادي، مبادئ الدولة و القيادة لدى مراجع الحوزة العلمية، مطبعة البينة النجف الاشرف٢٠٠٦
٢٧. الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، بيروت ، دار الاحياء التراث العربي ،٨٥٣
٢٨. الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، الخصال، قم المقدسة، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٣ه
٢٩. صلاح مهدي علي الفضلي، الدور الوطني للمرجعية الدينية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر (١٩٠٠– ٢٠٠٢) بيروت ، نشر مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، ١٤٣٢ه ٢٠١١م،
٣٠. عبد الامير عزيز القريشي ،مرقد الامام العباس ،بغداد ،دار النبأ ، ٢٠٢٢، ج٢
٣١. عبد الجبار الرفاعي، مفهوم الدولة في مدرسة النجف، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية، الرباط،
٣٢. عبد الرحمن بن عبدالله بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق ، فتحي انوار الدابولي . مجدى فتحي السيد، القاهرة ،دار الصحابة للتراث بطنطا،١٤١٦ه،ج٣
٣٣. عبد الرحيم الهويمي ، المرجعية الدينية ودورها في تنصيب الملك فيصل، بغداد ، دار الشؤن الثقافية ، ١٩٩٧م،
٣٤. عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى، بغداد، دار الرافدين، ٢٠١٣،
٣٥. عبد الرزاق الحسني ،تاريخ العراق السياسي الحديث، بيروت ، مطبعة العرفان،٢٠٠٧
٣٦. عبد الرزاق الحسيني تاريخ الوزارات العراقية ،بغداد ،دار الشؤن الثقافية ،١٩٨٥
٣٧. عبد الرزاق حرز الدين، تاريخ النجف الأشرف،

٣٨. عبد الغني عبد، المصباح في عيون الصحاح، مخطوط مكتبة الاسد ، دمشق ، ٢٠٠٤

٣٩. عبد الله ابن ابي شيبه ،المصنف الابن ابي شيبه ، تحقيق ، شعيب الأرناؤوط ،بيروت ، دار الفكر ،٢٠٠٠

٤٠. عبد الله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، بيروت، دار الاحياء التراث العربي١٩٧٣ :

٤١. عبد الهادي الحكيم حوزة النجف الأشرف النظام ومشاريع التطوير، بيروت: وحدة الدراسات والنشر، ٢٠١٢م

٤٢. علاء جاسم محمد الحربي ، الملك فيصل الاول حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسوريا والعراق ١٨٣٣ – ١٩٣٣ ، بغداد، ، دار الشؤن الثقافية ، ١٩٩٠

٤٣. علاء عباس نعمة، ثورة العشرين دراسة تاريخية، بغداد، دار الرافدين، ٢٠١٠

٤٤. علي السيستاني بيان من مكتبه في النجف الاشرف ١٩ / جمادي الاول / ١٤٢٤هـ.

٤٥. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ، بغداد: مطبعة المعارف،١٩٦٥.

٤٦. علي عبد السيد المدني وإبراهيم طه العبادي ، علي عبد الهادي المعموري، حوزة النجف في العراق ،عمان، مؤسسة فريدريش، ٢٠٢٣

٤٧. فسر ريدار، شيعة العراق، جذور الحركة الفيدرالية، معهد الدراسات الفيدرالية، بيروت ،٢٠٠٧

٤٨. فهمي هويدي ، ايران من الداخل، القاهرة، مركز ، الاهرام ط٤ ، ١٩٩١

٤٩. كارولين مرجي صايغ، المرجعية الدينية – الموقف الوطني في العراق بعد ٢٠٠٣، ترجمة نصر محمد علي ، بيروت، مركز الرافدين للحوار،٢٠٢٠

٥٠. كامل سلمان الجبوري، معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢ ، بيروت، دار الكتب العلمية، المجلد ٥، ٢٠٢٣

٥١. لطفي جعفر فرج ، عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، بغداد، مكتبة اليقظة العربية، ١٩٨٨

٥٢. ماجد الغرباوي، الشيخ محمد حسين النائيتي (منظر الحركة الدستورية) ، مؤسسة الأعراف للنشر ، (١٩٩٩م

٥٣. ماجد الغرباوي، الشيخ محمد حسين النائيني (منظر الحركة الدستورية)، النجف الاشرف، مؤسسة الأعراف للنشر ، (١٩٩٩م)

٥٤. مجموعة باحثين مأزق الدستور – نقد وتحليل – بيروت، الفرات للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٦.

٥٥. محمد الحسني البغدادي ، وجوب النهضة – رؤية تأسيسية استباقية حول الجهاد الكفائي، تحقيق احمد الحسني البغدادي، النجف الاشرف، ادارة الموقع الرسمي لسماحة الفقيه المرجع أحمد الحسني البغدادي، ٢٠١٢

٥٦. محمد الحسيني الشيرازي، الامام الثائر ، النجف، مطبعة الادب،١٩٦٦

٥٧. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق محمد بن زهير الناصر، بيروت، دار طوق النجاة، ، ٢٠٠١

٥٨. محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة–قم المشرفة، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث، ط٢ ،ج٢٧، ١٤١٤هـ

٥٩. محمد بن الحسن بن علي العاملي، وسائل الشيعة ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ،١٩٧٢

٦٠. محمد بن علي بن ابراهيم المازِندي ، شرح اصول الكافي، بيروت ، دار الكتب الاسلامية ، ١٩٩٧،

٦١. محمد حسين الطبطبائي، الميزان في تفسير القران، بيروت، دار الاحياء العربي ١٩٩٧٠

٦٢. محمد حسين علي الصغير، أساطين المرجعية العليا (بيروت: مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣)

٦٣. محمد حسين كاشف الغطاء، أصل الشيعة و أصولها، النجف الأشرف، مؤسسة الامام علي ١٩٤٥،

٦٤. محمد صادق الهاشمي وجمعة العطواني، شيعة العراق مصادر القوى والتحديات دراسة أبرز التحولات السياسية لشيعة العراق بعد ٢٠٠٣. مطبعة الساقي ط١، ٢٠١٤

٦٥. محمد صالح الغروي، لمحات عن شخصية المرجع الأعلى السيد السيستاني (قم، دار الهدى ، ٢٠٠٣م

٦٦. محمد صالح الغروي، لمحات عن شخصية المرجع الأعلى السيد السيستاني ١٣٤

٦٧. محمد علي كمال الدين، التطور الفكري في العراق، بغداد، شركة التجارة والطباعة، ١٩٦٠م

٦٨. محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين–الثورة العراقية الكبرى، النجف الاشرف، منشورات دار البيان، ١٩٧١

٦٩. محمد هادي الاسدي، الامام الحكيم عرض تاريخي لدوره السياسي والثقافي، نشر مؤسسة آفاق للدراسات والابحاث العراقية، الطبعة الاولى ٢٠٠٨

٧٠. محمد هاشم خويطر ، المرجعية الدينية ودورها في تنصيب الملك فيصل ،الرياض ،دار المؤرخ ،٢٠٠٣م

٧١. نديم عيسى ، الفكر السياسي لثورة العشرين ، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٢

المجلات العلمية:

٧٢. بغداد، جامعة بغداد مجلة العلوم السياسية ، العدد٥٧، ٢٠١٩،

٧٣. جامعة الكوفة، مجلة مركز دراسات الكوفة، المجل د٢/العدد٦١/ب،٢٠٢١

٧٤. الجامعة المستنصرية، مجلة الآداب، العدد ١١٥، ٢٠١٦

٧٥. جامعة تكريت ، مجلة كلية التربية للبنات ، العدد٢٠ ، السنة الحادية عشر، ٢٠١٧م.

٧٦. جامعة كربلاء، مجلة جامعة كربلاء، العدد٢،، ٢٠١٤

٧٧. كربلاء المقدسة، جامعة أهل البيت "ع"، مجلة اهل البيت "ع"، ٢٠١٦،

الرسائل والاطاريح العلمية

٧٨. قحطان جابر أسعد التكريتي، دور المثقفين والمجددين في الثورة الدستورية الإيرانية ١٩٠٥-١٩١١م، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية ، جامعة تكريت ، ٢٠٠٥م

المواقع الالكترونية:

٧٩. https://www.sistani.org/arabic/archive/